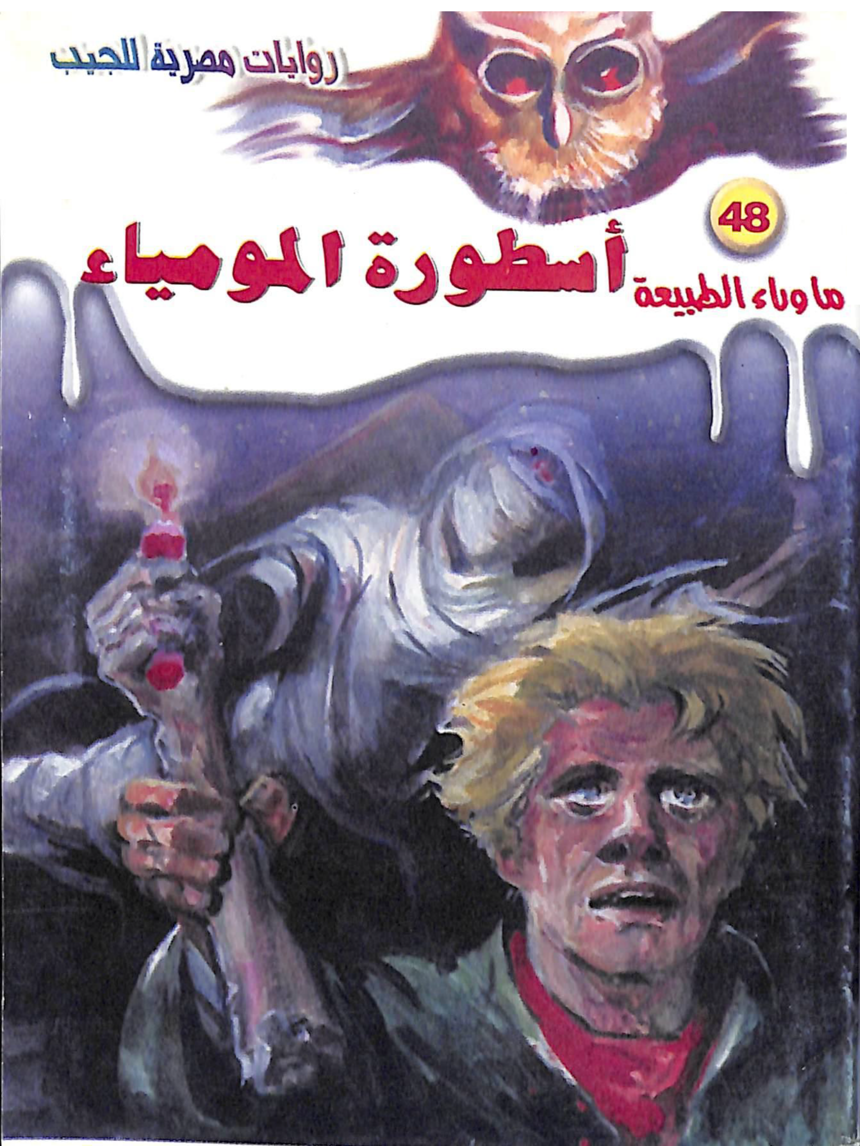

روايات مصرية للجيب
48
ما وراء الطبيعة
أسطورة المومياء

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

روايات مصرية للجيب

أسطورة المومياء

كعادتنا نحاول فى هذا الكتيب
أن نصحح بعض الأخطاء الشائعة ،
والتى اعتبرها الناس حقائق :

1 - ليست كل المومياوات لطيفة وديعة ..
2 - ليس النرويجيون معصومين من الخطأ ..
3 - ليست أذرع المومياوات من الأشياء الصالحة لتجميل المنازل ..
4 - ما زال العجوز (رفعت إسماعيل) ساذجًا ، وما زال يرتكب أخطاء قاتلة من حين لآخر ..



د. أحمد خالد توفيق



الثمن فى مصر
ومايعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم

طباعة ونشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٦٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٦٨٢٧٠٠٢

العدد القادم :
أسطورة العشيرة

48

روايات مصرية للجيب

•

ما وراء الطبيعة

أسطورة المومياء

روايات مصرية للجيب

●

ماوراء الطبيعة

روايـــات تحبس الأنفـــاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

●

مصنّف مصـرى مـائة فى المـائة
لا تشـوبه شبهة الترجمة أو الاقتبـاس
أو النقــل عـن أية قصص أوربيـة .

●

إشـــراف
الأســتاذ/حمـــدى مصطفـــى

●

طباعة ونشر المؤسسة العربية الحديثة للطبع والنشر والتوزيع ـ المطابع ٨، ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية
بالعباسية ـ منافذ البيع ١٠ ، ١٦ شارع كامل صدقى الفجالة ـ ٤ شارع الإسحاقى بمنشية البكرى روكسى
مصر الجديدة ـ القاهرة ت : ٦٨٢٣٧٩٢ ـ ٥٩٠٨٤٥٥ ـ ٢٥٨٦١٩٧ فاكس ـ 202/2596650 ج.م.ع

روايات مصرية للجيب

ماوراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس
من فرط الغموض والرعب والإثارة

48

أسطورة المومياء

بقلم :

د. أحمد خالد توفيق

الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع
ت : ٥٩٠٨٤٥٥ - ٢٨٣٥٥٥٤ - ٢٥٨٦١٩٧
فاكس : ٢٨٢٧٠٠٢

مقدمة

هناك مومياوات ومومياوات ..

ليست كل المومياوات لطيفة المعشر أو محببة للنفس .. لو اعتقدت هذا فأنت بلاشك فى مشكلة .. لعل هذا هو الفارق بين شيخ خبر الحياة مثلى - أنا (رفعت إسماعيل) - وبين من يخطو خطواته الأولى فى طريقه المفعم بالأشواك ..

(رفعت إسماعيل) العجوز يعرف حكايات كثيرة عن مومياوات لم تكن مهذبة بما يكفى .. لم تكن مسالمة بما يكفى .. لم تكن لطيفة بما يكفى .. يبدو أننى سأحكى لكم اليوم واحدة من هذه القصص .. فقط لأبرهن على أن المومياوات ليست تلك الأشياء الوديعة كما قد يخطر للبعض ..

هذا هو لقائى الثامن والأربعون معكم .. الحقيقة أننى كنت أزمع من البداية أن أكتفى بخمسين قصة ، ثم أترككم وأموت .. لايعرف هذا القرار سوى عدد محدود جدًّا من قرائى لايتجاوز أصابع اليد الواحدة ..

والسبب الأول هو حرصى على ألا أكون مملاً أو مكررًا .. والسبب الثانى ستعرفونه يوم أكف عن الكتابة ، ولسوف أبقيه سرًا فى الوقت الحالى ..

لكننى لا أجد الشجاعة الكافية لاتخاذ قرار كهذا الآن .. لقد كان رقم الخمسين بعيدًا جدًا يومًا ما ، لكنه الآن صار دانيًا جدًا ، وبصراحة ما زالت هناك حكايات كثيرة فى جعبتى لم أحكها ، بعضها لمحت إليه وبعضها لم أفعل .. وأنا من الطراز الذى لا يموت قبل أن يوفى بالتزاماته الأدبية والمادية كاملة ..

حقًا ما زال العجوز (رفعت إسماعيل) قادرًا على السرد والكلام ، وحقًا ما زال يملك الكثير ، لهذا قررت أن أستمر ولا أتوقف إلا حين أتوقف .. أعتذر إذن للأصدقاء الذين وعدتهم بأن أخرس للأبد ، ثم لم أفعل .. سأحاول أن تكون القصة التالية ترضية مناسبة لهم ..

هناك مومياوات ومومياوات ..

والمومياء التى نلقاها اليوم كانت من طراز مختلف ..

ستعرفون السبب بعد قليل لو قلبتم الصفحة أو نظرتم إلى اليسار ..

الجزء الأول

حكاية مختصرة عن النرويجى الذى لا يتكلم كثيراً

ـ ١ ـ

أنا المختار من بين الملايين ، الذى يخرج من العالم السفلى ..

الذى لا يعرف اسمه أحد

إذا نطق اسمه على مجرى الماء جف ..

وإذا نطق اسمه فوق اليابسة اشتعلت النار ..

[تعويذة فرعونية قديمة]

★ ★ ★

حقًّا لا أدرى إن كان من حقى أن أحكى لك قصتى مع (يوهان تورلسون) .. لقد مر دهر ـ نحو ثلاثين عامًا ـ على هذه القصة ، وفى الغالب لن يتأذى أى طرف من الأطراف لو حكيتها .. بالضبط كما أن أحدًا لن يتأذى لو حكينا قصة حريق (روما) أو حملة (هانيبال) ..

قابلت (يوهان) فى القاهرة فى أحد المؤتمرات الطبية التى تعقد دائما فى واحد من تلك الفنادق المطلة على النيل .. لا أذكر موضوع المؤتمر ، لكنه كان طبيًّا طبعًا .. لا يجب أن يكون المرء عبقريًّا كى يخمن هذا .. يمكنك كذلك أن تعرف أن (تورلسون) هذا كان طبيبًا من (أوسلو) ..

كان نرويجيًّا بكل ما فى الكلمة من معان .. أشقر جدًّا .. أزرق العينين جدًّا .. أحمر البشرة جدًّا .. باردًا ذلك البرود الجدير بمن كان أسلافه يقضون حياتهم فى بحر الشمال ، يهاجمون القرى الساحلية على سبيل الرياضة ، ويعبدون إلهًا وثنيًّا اسمه (أودين) ، ويحلمون بأن يذهبوا بعد الموت إلى جنتهم (فالهالا) ..

صموتًا كان وأنا أحب الصموتين بحق ..

ربما لاحظته لأنه ألقى محاضرة لا بأس بها عن مخاطر نقل الدم ، وأشهد له أنه تنبأ بميلاد كابوس لم يخطر لنا وقتها فى أسوأ أحلامنا اسمه (الإيدز) ..

كان يؤمن بأن الأعوام القادمة ستجعلنا ندرك أن ما نفعله اليوم جريمة ، وكان محقًا لأن تلك هى الأعوام التى كنا ننقل فيها فيروسات الالتهاب الكبدى والإيدز إلى المرضى دون أن نعرف هذا .. هذا ليس موضوعنا على كل حال ، لكنّ هذا واحدًا من المواقف التى تجعلك تميل إلى شخص ما ، لأنه ذكى بالإضافة إلى صمته الدائم الغريب .. لست من هواة تعرف الأشخاص ، ولا أجمع الوجوه الجديدة كما يجمع هاوى الحشرات مجموعة من الخنافس .. لهذا لم أحاول أن أقدم له نفسى ، وفى الغالب كان سيلقانى ببرود لا يريحنى ..

* * *

فى ذلك الصباح شعرت بالملل من برنامج المؤتمر ، خاصة وأن هناك الكثير من المتكلمين لمجرد أنهم يحبون سماع صوتهم الخاص .. كانت القاعة مظلمة ما عدا ضوء (البروجكتور) الساقط على الشاشة ، والمتحدث الغارق نصف وجهه فى الظلام يتكلم بصوت رتيب لا تغيير فيه ولا تبديل ، كأنما نحن أطفال يحاول أن ينيمنا ..

عبثًا حاولت أن أبقى عينىّ مفتوحتين ، لكن بدا لى كأن وزنهما طنان .. وضبطت نفسى مرتين أو ثلاثًا وقد غبت فى نعاس عميق ، من الطراز الذى تسقط فيه الذقن على الصدر ويسيل اللعاب من الشفتين اللتين فقدتا القدرة على أن تقفلا .. أنا فى عالم الأساطير أقف أمام (أوزوريس) لحظة الحساب ، وصوته يدوى عميقًا رتيبًا مملاً وهو يتحدث عن .. صفائح الدم ! صفائح الدم ؟!

فى النهاية هززت رأسى ، ونظرت حولى فلم أر أحدًا منتبهًا .. كان الممر المظلم بجانبى وفى نهايته كلمة النجاة EXIT تضىء بالأحمر ، تعدنى بالخلاص من هذا الجحيم ..

توكلت على اللّه وانسحبت فى هدوء ، متجنبًا النظر إلى المحاضر حتى لا يرانى ، ونظر لى أحد البروفيسورات ذوى السوالف الكثة فى اشمئزاز وأنا أفر من العلم كتلميذ فى المدرسة الابتدائية ، لكنى تجاهلته واتجهت للباب ..

أخيرًا أستنشق الهواء النقى .. كانت الساعة العاشرة صباحًا واليوم ما زال بعد طويلا ، وثمة جلسات يهمنى أن أحضرها ، لأن المؤتمر ليس كله هراء .. لهذا قررت أن أغادر الفندق ، وأمضى الوقت فى أى مكان بعيد عن هذا كله .. على أن أعود فى الثانية بعد الظهر ..

بالطبع تقود كل هذه المؤتمرات بشكل ما إلى ميدان التحرير ، وميدان التحرير بالنسبة لى هو المتحف المصرى .. لم لا أفعل هذا الآن ؟ لطالما قلت لنفسى إنه لو كان متحف اللوفر فى القاهرة لزرته ست مرات أسبوعيًّا .. وأنا عندى هنا ما يزرى بعشرين متحف لوفر .. فقط أنا لا أزوره لمجرد أنه (هناك) .. أستطيع أن أزوره متى أردت .. و(متى) هذه لا تأتى أبدًا .. والنتيجة هى أننى لا أرى 80% من معالم مصر التى يقطع الغربيون أذرعهم اليمنى مقابل أن تكون عندهم ..

هذا يوم مناسب للعودة للجذور ، وليكون نهارًا جميلاً وسط (أمنحتب) و(سيتى) و(أمنمحات) ..

* * *

كنت فى الطـابق العلوى من المتحـف أتأمل بعـض الأوانـى الزجاجيـة منبهـرًا ، حين رأيت بطـرف عينـى ذلك الرجل الأشـقر الشـعر جدًّا ، أزرق العينين جدًّا ، أحمر البشرة جدًا .. كان يمسك بورقة ويحاول جاهدًا ـ مستعينًا (بدزينة) من الأقلام الملونة الجافـة ـ أن يرسم عليها بعض النقوش الهيروغليفية مـن خزانـة زجاجيـة أمامـه .. كـانت هـذه هـى لحظـة التعـارف المقدسـة ، لأن مجموعـة الأقـلام سقطت منـه علـى الأرض ، فانحنى يجمعها ، ومـا كـان مـن الممكـن ألا أخف لمساعدته ..

فلما انتهينا ، شكرنى بتهذيب وبالإنجليزية ، ثم لم يلبث أن تبين أنه يعرف وجهى ..

ـ « إذن أنا لست الوحيد الذى هرب من المؤتمر ! »

ـ « ولست الوحيد المهتم بالتاريخ الفرعونى .. »

ـ « أنا مهتم .. وأى اهتمام ! »

وهكذا صار من المستحيل ألا تنعقد بيننـا صداقـة من نوع ما .. ومضينا نجول فى المتحف معًا .. كـان

يملك أسئلة وما كنت أملك إجابات .. الحقيقة هى أن جهلنا ـ أو منعًا لقلة الأدب جهلى أنا ـ بالتاريخ الفرعونى لمروع .. وسرعان ما عرفت أنه يعرف مائة مرة قدر ما أعرف أنا .. كان اهتمامه أصيلاً عميقًا لا يترك شيئًا للصدفة ، ولابد أن (كارتر) لم يكن أكثر اهتمامًا وهو يفتش عن مقبرة (توت عنخ آمون) عام 1922 ..

ثمة ملحوظة أخرى من تلك الملحوظات التى لا تتضح أهميتها إلا فيما بعد ، والتى تتذكرها فجأة ذات ليلة وأنت ترمق السقف فى فراشك عاجزًا عن النوم .. كنت أتكلم عن الميثولوجيا الفرعونية ، وقلت له ساخرًا :

ـ « كانوا يؤمنون بخليط غريب من عقائد الطوطم وتأليه الحيوانات ، كما أنهم كانوا يعتبرون السحر أمرًا مفروغًا منه .. وهو أمر غريب بالنسبة لحضارة كهذه .. »

قال لى فى ضيق :

ـ « هل تنفى وجود السحر من العالم حقًا ؟ »

يقول هذا لى أنا ! أنا (رفعت إسماعيل) بالذات ! ابتسمت ، وأنا أدرك أن هذا الرجل مهما رأى فلن يبلغ ربع ما رأيت فى حياتى :

- « عرفت فيما مضى واحدًا اسمه (رفعت إسماعيل) كان لا يؤمن بأى شىء غير مادى .. لكن هذا الرجل قد توفى من دهور على ما أظن .. إننى أوافق تمامًا اليوم على وجود السحر ، لكن يجب أولاً أن يكون سحرًا .. »

قال بنفس الضيق :

- « لسنا واثقين من سحر المصريين القدماء .. ربما كانت مجرد (حواديت) يكتبونها للتسلية على ورق البردى والمسلات .. لكننى أعرف السحر القوى حين أقابله ، وثق أننى أعرف ما أتكلم عنه .. لقد كان (آرثر كونان دويل) نموذجا فريدًا لطبيب ذكى غير قابل للخداع ، وبرغم هذا لم يستطع أن يرفض السحر .. »

فى النهاية - حين وصلنا إلى الطابق السفلى حيث الملكة (تى) الفاتنة تجلس جوار زوجها وتبتسم

ابتسامتها اللعوب الغامضة ـ كنا قد صرنا أقرب شيء إلى صديقين .. صحيح أنها صداقة سريعة البخر ، لكنها صداقة على كل حال ..

سألته وأنا أدون عنوانى ورقم هاتفى بالإنجليزية فى مفكرته :

ـ « هل ستعود للوطن بعد المؤتمر مباشرة ؟ »

قال وهو يدون بياناته فى مفكرتى :

ـ « لا .. سأمضى بعض أيام هنا .. أنا لم أر (الأقصر) بعد .. لم أرها قط .. »

قلت فى فخر :

ـ « أنا زرتها مرتين .. كانت أول مرة أيام الجامعة و.... »

ـ « مرتين ؟! »

وتقلص فمه فى اشمئزاز ، وأردف :

ـ « كنت أحسبكم تمضون هناك كل إجازاتكم الأسبوعية ! »

ثم ناولنى مفكرتى ، ونظر إلى ساعته .. لم يحن وقت العودة بعد ، لكنه كما هو واضح راغب فى قضاء بعض الوقت منفردًا .. صافحته وقررت أن أمضى الوقت الباقى فى نزهة على كورنيش النيل ..

* * *

كان هذا هو لقائى الأول بالنرويجى (يوهان تورلسون) .. طبيب مختص بأمراض الدم ، وعاشق للتاريخ المصرى .. صموت .. قادر على أن يكون سمجًا متى أراد ذلك ..

فيما بعد التقينا فى أروقة المؤتمر كثيرًا .. تبادلنا هزات الرأس أو كلمات عابرة ، وقدمت أنا بحثًا لا بأس به ، فهنأنى بعدما نزلت من المنصة .. علاقة سطحية جميلة جدًّا كما ترون ، فما كان لى ذنب فى كل ما حدث بعد هذا ولا علاقة بالشيخ (خميس) ..

يحب بعضكم أن يربط بينى وبين الريس (خميس) فى هذه القصة ، وهو نوع من التجنى لا أجد له مبررًا .. أنتم قرأتم ما حدث معى ، فأين ذكرت الريس (خميس) فى السطور السابقة ؟

إن ما حدث بعد هذا كله كـان غيبًا بالنسبة لـى ، وإذا كنت سأحكيه فـى الصفحـات التاليـة ، فلأننـى عرفته فيما بعد ، وليس لأننى عشته .. إن دورى فى هذه القصـة يبدأ من الجزء الثـانى لا مـن الفصـل الثانى ..

وكنت أتمنى لو لم يبدأ قط ..!

★ ★ ★

ـ ٢ ـ

الأقصر ..

على ظهر المعدية التى تعبر النيل إلى الضفة الغربية ، لابد أن صديقنا النرويجى وقف يرمق الأرض الدانية ويعرق ، ويذب الذباب الكثيف ـ القادم من زراعات قصب السكر ـ عن وجهه ، لكن هذا المجهود بدا له مستحيلاً على كل حال .. بالنسبة له لم تكن هذه هى الأقصر قط .. إنها (طيبة) .. عاصمة مصر ..

كان قد زار ما يمكن أن يزار فى البر الشرقى .. رأى الكرنك ومشى فى طريق الكباش ، وانبهر بمدى تقدم العمران الفرعونى .. هذه مشاهد حفظها عن ظهر قلب من الكتب ، لكن الأمر يختلف على الطبيعة .. كما أن سماع السيمفونيات من المذياع شىء ، والجلوس لتسمع المعجزة ذاتها تولد من فرقة عازفين بشحمهم ولحمهم شىء آخر ..

لكن المتعة الحقيقية تبدأ فى البر الغربــى .. حيث تنتظرك ثمانمائـة مقبرة علـى الأقل ، وحيـث يغفـو وادى الملـوك الرهيب فـى الشـمس الحارقـة وسـط الجبـال .. وحيث معبد الدير البحرى الـذى شـادته (حتشبسوت) يومًا ما ، ومعبد (الرامسيوم) المهيب المخيف ..

ترجل ماشيًا بحذر على لوح الخشب الذى وضعه النوتى له .. كان هناك الكثـيرون ممـن يرغبـون فـى أن يسـاعدوه أو يعملـوا أدلـة لـه ، لكنـه كـان يعـرف مـا يريده جيدًا .. وبصعوبـة اجتـاز زحـام اللحوحيـن اللجوجين ، ومشى حتـى صـار علـى مسـافة مأمونـة منهـم .. ووقـف ينتظـر .. لابـد أن الرجـل يعـرف الموعد ، ولابد أنه ينتظره ..

أخيرًا رآه يتقدم منه .. هذا الجلباب الأبيض النقى الذى تدهش كيف لم يتسخ وسط بحـر العـرق هذا .. الوجه الصعيدى الأسمر قوى القسمات كأنه نحت فـى الأبنوس ، والشعر المجعد الأشيب على جانبى الرأس فيما ظهر تحت العمامة ..



أخيرًا رآه يتقدم منه .. هذا الجلباب الأبيض النقى الذى تدهش كيف لم يتسخ وسط بحر العرق هذا ..

دنا منه الرجل ثم سأله كاشفًا عن أسنان عاجية :

ـ « الدكتور (تورلسون) ؟ »

لم يكن النرويجى يعرف ما نسميه نحن (إنجليزية الترجمانات) ، لكنه على الأقل وجدها واضحة جدًّا ومفهومة .. سرّه هذا لأنه لا يفقه حرفًا من اللغة العربية ..

ـ « أنا هو .. الريس (خميس) ؟ »

ـ « تحت أمرك .. »

ودون كلمة أخرى مشى معه الرجل ليكون دليله فى جولة البر الغربى هذه ..

★ ★ ★

كانت بحق رحلة شاقة .. لكن النرويجى كان مبهورًا متلاحق الأنفاس لا يصدق ما يراه ، وكان الترجمان المصرى بارعًا عليمًا بحق بكل تفاصيل هذا الجزء من وطنه ، وكان يتكلم عن ملوك الفراعنة كأنهم أقاربه .. زوج خالته وابن عمه ..

يعرفهم ويفهمهم وربما رآهم أحياء كذلك .. وتحت تأثير هذا الانطباع التقط للرجل عشرات الصور جوار الآثار كأنما يصوره وسط أملاكه الخاصة ..

أخيرًا توقفت عربة الحنطور أمام الفندق الصغير الذى سيبيت فيه النرويجى ليلته .. دخل الترجمان البهو وحيّا الموظف ، وتبادل همسات معه .. طبعًا بصدد عمولته لأنه اختار هذا الفندق ..

ثم صعد مع الرجل إلى حجرته ..

انغلق الباب وراءهما ، فمد الترجمان يده فى جيبه وأخرج لفافة صغيرة أسطوانية وناولها ضيفه .. أنا لم أر هذه اللفافة لكنها بالتأكيد كانت فى حجم وأبعاد منشفة وجه تم لفها حول نفسها .. تبادل الرجلان نظرة ذات معنى ، ثم قال الترجمان فى صوت هامس :

ـ « كن حذرًا يا دكتور .. هذه مسئولية ثقيلة .. »

ـ « أنا أعرف ما يجب عمله .. »

ـ « وأنا لم أعطك شيئًا .. »

وأشعل لفافة تبغ ، ونفث سحابة بيضاء كثيفة أمام وجهه الأسمر وتساءل :

- « هل تبيعها أم هى لاستعمالك الخاص ؟ »

- « استعمالى الخاص .. »

- « حسن .. هذا أكثر أمنا .. »

ووقف ينتظر متثاقلاً متمهلاً ، ففهم النرويجى أنه نسى .. عبث فى جيبه وأخرج بضع أوراق من العملة ، ودسها فى يد الرجل .. لكن هذا الأخير لم يبد حراكًا ولم تتحرك عضلة واحدة فى وجهه ..

- « فهمت .. »

وأخرج بضع أوراق أخرى دسها فى يده ، فطواها هذا ووضعها فى حافظة عملاقة بحجم كتاب صغير أخرجها من صدر جلبابه ، وقال :

- « طابت ليلتك .. غدًا أمر عليك فى السابعة صباحًا لنواصل جولتنا فى (الرامسيوم) .. »

فلما انفرد النرويجى بنفسه ، لابد أنه لم يجد الشجاعة الكافية لفتح اللفافة .. لابد أنه تفحصها وتحسسها ، ثم دسها فى مكان ما بين طيات حقائبه .. هل نام جيدًا ؟ أشك فى هذا .. كان يعصف بروحه مزيج من شوق عارم وحماسة مبالغ فيها .. وبعض الخوف كذلك ؟ لماذا لانعترف بهذا الوحش الكاسر الغالب : الخوف ؟ إنه من حق كل إنسان .. حتى لو كان لصًّا !!!

★ ★ ★

بعد أيام ـ وبعد نزهة لابأس بها رأى فيها مصر كما لم يرها أحد ـ عاد صديقنا النرويجى إلى (أوسلو) .

كان يعيش وحيدًا بعد طلاقه من زوجته ، وهى خطوة روتينية لدى شعوب الشمال هذه .. الميلاد .. الزواج .. عدم الإنجاب .. الطلاق .. الموت (أو الانتحار لو كان سويديًّا أو دنماركيًّا) ..

كان فى الخمسين من عمره .. وقد وجد غايته فى الطب ، وبعض التجارب الغامضة التى يقوم بها

من حين لآخر ، وهى تجارب عرفت طبيعتها فيما بعد .. لم يعد هذا هو عصر حرق السحرة ، بل صارت لكل إنسان الحرية المطلقة لعمل أى شىء لا يضايق الآخرين .. يمكنك أن تسكب البنزين على نفسك وتشعل الثقاب ، ما دمت لن تحرق شيئًا من بيوت الجيران .. يمكنك أن تقود سيارتك بكسرولة على رأسك وأنت تلبس فستان طفلة فى السابعة ، بشرط ألا توقف السيارة فى الممنوع ..

هنا يجب أن نذكر عدة حقائق :

١ ـ الأخ (تورلسون) مخبول .. ربما لاتكونون قد لاحظتم هذا ، وربما لاتصدقون .. لكنى أقولها لكم ، وأزيح عن كاهلكم عبء اكتشاف هذا بأنفسكم .. من قال إن المجنون يجب أن يبدو ويتكلم كمجنون ؟

٢ ـ منذ عشر سنوات وهو يمارس السحر ، وحجته فى ذلك أنه يريد استكشاف المجهول كما قضى كل هذه الأعوام يستكشف المعلوم ..

٣ ـ من الواضح تمامًا أن اللفافة التى أخذها من ذلك الترجمان فى الأقصر كانت ذراع مومياء .. كلكم خمن هذا بالطبع .. إن القصة هكذا دائمًا .. ويبدو أن أذرع المومياوات سهلة التهريب إلى حد ما .. ومن الواضح أن صيتها عظيم فى العالم الغربى ..

٤ ـ ماذا يفعله ساحر مخبول بذراع مومياء ؟ سؤال غريب ! إن هذا يفتح له إمكانيات لا حصر لها .. يخيل إلى أحيانًا أن حياة الساحر من دون ذراع مومياء هى شىء مستحيل ..

٥ ـ يزمع الأخ (تورلسون) أن يجرب ضربًا من أفظع ضروب السحر الأسود التى تحدثت عنها مراجع الطب .. إنه ما يطلقون عليه (يد المجد Hand of Glory) ..

إن الطريقة سهلة ، وقد قرأتها بعدة أساليب ، لكنها تتلخص فى التالى : يد يمنى لمجرم مشنوق (وهذه نقطة خلاف سنتكلم عنها بعد قليل) توضع فى قدر به خليط من كبريتات النحاس والملح و.....

لـن أحكــي التفـاصيل حتــى لا أنقـل الخـبرة الآثمــة لشـخص آخـر .. تـعـرض اليـد لأشـعة الشـمس لمــدة أسبوعين ، وتثبـت إليهـا شـمعة مصنوعـة مـن دهـن الموتـى والسمسـم و..... لاتفـاصيل أخـرى .. ليـس هذا كتابًا لفنون التدبير المنزلى كما تلاحظون ..

تتحول يـد المجـد هذه إلى ما يشـبه الشـمعدان .. هذا الشمعدان يمكنه أن يحـول كـل مـن يتعـرض لـه إلى شبه مشـلول بلاحراك .. كـانت هـذه مـن أدوات السرقة المحببة لدى اللصوص ، وكانوا يجمدون بهـا أصحاب البيوت (هكذا تحكى الكتب) .. لكن أصحـاب البيوت كانوا يتوقون هذا بأن يدهنوا عتبـات البيـوت بخليـط مــن مـرارة القـط الأسـود ودهـن الدجاجـة البيضاء ، ويتم تركيب هذا الخليط أيام الشعرى (بين 3 يوليو و15 أغسطس) ..

لماذا يفكر الأخ (تورلسون) فى صنع يد المجد ؟ طبعًا لأنه مخبول ، ولأنه يريد تجربة كـل شـىء قذر قرأه فى كتب السحر .. طبعًا كـان مـن العسير عليـه الحصول على يد مشنوق .. هذه الأشياء لاتبـاع فى

السوبر ماركت .. لكنه كون قناعته الخاصة أن يد مومياء فرعونية هى ما يضمن قوة الوصفة .. ويبدو أنه وجد فى الكتب العتيقة لديه ، والتى جمعها من كل مكتبات أوروبا الشرقية ، ما يؤكد يقينه هذا ..

وكان أن جاء موعد المؤتمر فى مصر ، وكان أن اتصل - قبل السفر - بصديق له من هواة سرقة الآثار ، وله باع قديم فى هذا .. فدلّه على من يدعى الريس (خميس) ، وهو من يعرف كيف يحصل على شىء كهذا ..

- « يمكن أن يخدعنى ويبيعنى أية يد يبدو عليها القدم .. »

- « الرجل لا يمزح .. إنه محترف ، ثم إنه الأمانة الكاملة تمشى على قدمين !! »

وهكذا سارت الأحداث إلى اللحظة التى صار فيها (تورلسون) وحيدًا فى داره ، ومعه تلك الذراع الفرعونية .. هذا مخيف بما يكفى ويدعو لكثير من النفور .. لكنه كان يبدأ الخطوة الأولى فى طريق الكوابيس الذى لا نهاية له ..

* * *

ـ ٣ ـ

فى البداية احتاج الرجل إلى أسبوعين أو ثلاثة حتى ينتهى من مهمته المقززة .. لهذا لا يمارس كل الناس السحر الأسود ، لأنه يحتاج إلى أن تكون مجنونًا تقريبًا ، وأن تكون أعصابك من حديد .. لما كنا نعرف أن هذه العملية يجب أن تتم فى أيام الشعرى ، يمكن بلا خطأ كبير أن نعرف أن هذا تم فى وقت ما بين 3 يوليو و 15 أغسطس .. والحقيقة أنه كان الأسبوع الأول من يوليو ..

فى النهاية ـ جالسًا إلى مكتبه على ضوء الأباجورة ـ فرغ من الخطوات الأخيرة ، وصار لديه ما يشبه الشمعدان .. شمعدان رهيب تقول الكتب إنه أقوى سلاح فى الكون .. كان عليه أن يجربه ، وهكذا دسه فى كيس ورقى ونزل إلى شوارع المدينة المظلمة يبحث عن هدف ..

والهدف كان متسولاً عجوزًا يجلس على قارعة الطريق ، من النوع الذى يعزف على كمان ولا يفيق أبدًا .. إنه كنز نادر لأنه لا يوجد متسولون تقريبًا فى النرويج كلها .. وقدر (تورلسون) أنه لو حدث ضرر مميت لهذا العجوز ، فلن يخسر المجتمع شيئًا .. ربما لن يخسر العجوز نفسه شيئًا .. فى الغالب سيستفيد ..

رأى العجوز من يدنو منه عبر ضوء الشارع الخافت .. لم يكن خائفًا .. لم يذق الخوف منذ عشرين عامًا ، لأنه لا يملك ما يخشى أن يفقده .. سأل القادم بصوت واهن منهك :

- « مرحبًا أيها الغريب .. اختر لى اللحن الذى تريد سماعه .. مقابل بضعة كرونات سأعزف لك على الكمان حتى الصباح .. »

دنا منه (تورلسون) .. كان مرتبكًا خائفًا بحق .. هو لا يريد أن يؤذيه لكنه راغب فى التجربة بحق .. مد يده فى الكيس الورقى وأخرج الشمعدان الرهيب .. لوح به أمام وجه الرجل ، واتسعت عيناه فى ترقب ..

نظر العجوز للشىء يلمع فى الظلام .. اتسعت عيناه لحظة ، ثم نظر لـ (تورلسون) وهمس بصوت كالفحيح :

- « أنت إذن الشيطان ! (لوسيفر) نفسه ! ليكن ! اقتلنى إذا أردت فلن أخسر شيئًا ! »

ارتبك (تورلسون) .. فهذا آخر شىء توقعه .. قال العجوز وهو يخرج زجاجة من جيبه ويزيح سدادتها :

- « أنا أعرف هذا الشىء جيدًا .. إن للعم (هانز) تجاربه .. لكن دعنى أقل لك إن من يلهُ بالنار يحترق بها .. وهذه الأشياء ليست للهو .. »

وجرع جرعة كبيرة من الزجاجة ، ومسح فمه بظهر يده المعروقة وقال :

- « هذا بالطبع إن لم تكن أنت الشيطان ذاته ! »

للحظة وقف (تورلسون) متصلبًا يتأمل العجوز .. من الواضح أن التجربة فشلت .. لكن لماذا ؟ هل لأن العجوز يعرف ما عليه أن يتوقعه ؟ أم لأن يد المومياء لاتصلح ؟ أم لأن القصة كلها خرافة ؟

دس الشمعدان فى الكيس الورقى وابتعد ليغيب فى الظلام ، بينما العجوز يصيح بصوته الواهن :

ـ « لو كنت يائسًا فتعال اجلس بجانبى ، وأصغ إلىّ وأنا أعزف الرابسودى .. »

لكن (تورلسون) كان قد توارى تمامًا ..

★ ★ ★

الضحية التالية كانت امرأة ، وكانت واقفة فى هذه الساعة أمام ناد ليلى تدخن .. قدر أن المجتمع لن يخسر كثيرًا لو أصيبت هذه بسوء ما .. لم يكن هناك من يراه لذا دنا منها ليدخل دائرة الضوء ، ووقف بعض الوقت يحاول أن يجد الشجاعة .. سألته ضاحكة :

ـ « عم تبحث وفيم تفكر ؟ يبدو لى أنك إنسان خطر للغاية أو .. »

ثم صمتت عن الكلام لأنها رأت الشمعدان الغريب الذى يحمله .. هذه المرة لم تكن تعرف كنه هذا الشىء لكنه بدا لها مخيفًا بما يكفى .. تقلصت الضحكة على شفتيها وتراجعت للوراء خطوة وهمست بصوت كالفحيح :

ـ « حقًّا أنت مجنون .. (هنرى) ! (هنريييييى) ! »

ولم يكن الأمر يحتاج إلى ذكاء لمعرفة من هذا الـ (هنرى) ، لأن جدارًا من العضلات يرتدى سترة جلدية ، ويعلق قرطًا فى أذنه ، وكثيرًا من الأساور الحديدية التى يلبسها الفتوات عندنا ، خرج من الظلام من مكان ما .. بدا أنه موشك على التفاهم ، لولا أن (تورلسون) بادر بالفرار .. هذه المرة جرى جريًا وغاب فى الظلام ..

★ ★ ★

الآن صار متأكدًا من شىء واحد .. كل ما كتب عن (يد المجد) هذه خرافة ، وما كان بوسعه أن يعرف ما لم يجرب طبعًا .. شعر بالسخف من منظره وهو الطبيب المثقف يجوب شوارع (أوسلو) كطفل يحاول أن يخيف الناس بسحلية اصطادها .. عليه أن يعود إلى داره ويتخلص من هذا الشىء المقيت ..

لم تكن هذه أول مرة .. إنه قد جرب كثيرًا من هذه الألعاب من قبل ، وليس الغريب هنا أن أكثرها

فشل ، بل إن بعضها قد نجح .. وهو ما جعله يؤمن أن السحر منجم واسع ، لكن الناس قد ألقوا فيه كثيرًا من الأحجار المزيفة حتى صار من المستحيل أن تعرف مالم تجرب .. (يد المجد) هذه نموذج جيد للأحجار المزيفة التى نالت ضجة أكثر مما تستحق .. وها هى ذى قد كلفته كثيرًا من المال والجهد والخطر ، خاصة لو أن أحدًا وجد تلك الذراع معه فى المطار .. إن المصريين لم يعودوا يتسامحون بالنسبة لآثارهم ، بينما كان ممكنًا فى الماضى أن تخرج برأس (نفرتيتى) أو حجر (رشيد) أو مسلة كاملة تضعها فى ميدان (الكونكورد) ..

حان وقت الخلاص من هذا الاختراع الرهيب ، ولكن كيف ؟ إن الأذرع لاتصلح لإلقائها فى القمامة بالتأكيد .. حتمًا سيجدها أحد .. إن معجزة الشرطة هى أنهم يبدءون بأشياء كهذه ، وبرغم هذا يصلون إلى الفاعل بدقة متناهية .. الفاعل الذى يضرب كفًا بكف متسائلاً : كيف عرفوا .

وهكذا حزم أمره ..

بدأ بأن انتزع الشمعة الرهيبة من اليد ، ووضعها فى منديل ملفوف .. إن العثور على يد ثبتت إليها شمعة ، لابد أن يذكر بعض الناس بذكريات ثقافة معينة من العصور المظلمة .. ثم إنه دس اليد فى كيسها الورقى ..

اتجه إلى المرآب وقد حمل الكيس الورقى بعدما وضع فيه ثقلاً ، ولف حبلاً حول الكيس بمحتوياته .. فتح سيارته ووضع الكيس جواره ، ثم أدار المحرك .. إن نهر (آكير) قريب جدًّا من بيته ، وبرغم هذا كانت رحلة متوترة فى ظلام الليل والشوارع التى صارت شبه خاوية .. لم يحب كثيرًا أن يستوقفه رجال الشرطة لسبب ما ويفتشون السيارة ليجدوا هذا الشىء .. إنه لايهوى الأسئلة ، ومعه فى ذلك حق .. وبعد دقائق كان عند النهر ..

كان هذا الجزء مقفرًا خاليًا من القوارب أو المارة ، وكان هذا منتصف الليل على كل حال ..

دنا من النهر أكثر فأكثر .. راح يصفر كعادة من يرتكبون شيئًا لايريح ضمائرهم .. نظر حوله فلم ير

أحدًا .. تنهد .. وتظاهر بأنه يتثاءب والشيئان فى يده .. طوح بالمنديل الورقى الذى يحوى الشمعة .. ثم ..

لم يلق بالكيس ..

لماذا ؟

لأنه سمع خطوات من ورائه فالتفت ..

كانت أضواء سيارة (تورلسون) مضاءة فلم يتبين القادم ، كما يحدث فى هذه الأمور .. لأن الأضواء كانت تتكسر وتغلف القادم فى ضباب مبهر للبصر .. لم يستطع تبين حدوده الخارجية (السلويت) إلا حين خرج من دائرة الضوء ..

كان فارع القامة يرتدى معطفًا طويلاً ويدس يديه فى الجيبين ، وكان يتقدم ببطء كما يفعل رجال العصابات فى الأفلام السينمائية .. رجل واثق من نفسه يعرف بحق ما يفعله ..

لكنه لم يتقدم أكثر ..

ظل واقفًا فى الظلام بضع ثوان بدت كالدهر ..

هنا فقد (تورلسون) رباطة جأشه وصاح فى توتر (ولكم كان يخشى أن يصيح فى توتر):

- « هل تريد شيئًا معينًا ؟ »

ببطء أخرج الرجل ذراعه من جيب معطفه ولوح بها .. وبرغم الضوء الخافت الواهن ، أدرك (تورلسون) أن ذراع الرجل اليمنى مبتورة تحت المرفق ..

★ ★ ★



ببطء أخرج الرجل ذراعه من جيب معطفه ولوح بها .. وبرغم الضوء الخافت الواهن ، أدرك (تورلسون) أن ذراع الرجل اليمنى مبتورة تحت المرفق ..

- ٤ -

لم يحدث شيء بعد هذا ..

لقد دوى صوت سرينة إحدى سيارات الدورية قادمة من المنعطف القريب ، ويبدو أن حادثة ما وقعت فى الجوار .. وقرر (تورلسون) أن الأصوب الآن أن يركب سيارته ويبتعد .. فيما بعد سيحاول فهم ماجرى وسيفزع كما ينبغى أن يكون .. لا أسئلة محرجة الآن .. لا أسئلة ..

هرع لسيارته حاملاً الكيس ، وأدار محركها ، وتراجع للوراء ليغير اتجاهه .. لاحظ بطرف عينه أن الرجل الغامض لم يعد هناك .. لاوقت لهذا الآن .. ثمة وقت كاف فيما بعد للبحث عن تفسيرات مقنعة .. ابتعد عن النهر ودخل أحد الشوارع وحافظ على سرعة عادية لاتريب ، وسرعان ما رأى السيارة مصدر السرينة .. كانت سيارة دورية مسرعة لاتهتم

بالنظر من حولها ، وخلفها كانت سيارة إطفاء حمراء تلحق بها بذات السرعة ، لكنها لا تصدر سرينة لأنها اكتفت بما تصدره الأولى .. كانت ملحمة الأضواء الملونة تذكره بالأحلام .. بل الكوابيس ..

مشى وراء الموكب الثنائى لأنه كان يقطع نفس الطريق .. غريب هذا ! حريق فى نفس المنطقة ، وربما نفس الشارع ..

بل فى نفس البناية !!

لأنه حين وقف فى الشارع رأى فوضى هائلة ، وكانت الأرض زلقة غارقة بالمياه ، بينما وقف الجيران المذعورون بثياب النوم يرمقون سلم الإطفاء وهو يرتفع إلى الطابق الرابع .. وكانت النار تندلع كأنها وحش غاضب لا يسكته شىء .. نار وأضواء كشافات وأضواء ملونة من سيارتى الدورية والإطفاء .. حقًا إن هذا لكابوس !

وصاح أحد الجيران وهو يحتضن زوجته وابنته :

ـ « كنا سنحترق أحياء لو لم تشم (سيبيل) رائحة الشياط »

هنا هـرع أحـد رجـال الإطفـاء حـاملاً خرطومًـا .. انزلقت قدمه فى أثناء الجرى ، فسقط أرضًا .. لسبب مجهول لم يتمالك (تورلسون) نفسه من الضحـك .. بدا له المشهد سخيفًا كإحدى كوميديات (الفارس) .. مضحك ! هاهاها ! كل هذا مضحك ! هاهاها !

نظر له أحد الجيران بضيق وغمغم :

- « من المهيـن أن تسـخر مـن هـؤلاء الذيـن يخاطرون بحياتهم من أجلنا .. »

- « معـذرة .. إنه انفـلات عصـبى لا أكثر .. لم أتعمد هذا .. »

ودنـا أحـد الضباط المبتلين بالعـرق والمـاء من الواقفين ، وصاح :

- « النـار اندلعت من الطـابق الرابـع .. شـقة رقم 17 .. لانستطيع الدخول لإنقـاذ السكان .. هل نجا أحدهم ؟ »

بلهجة مخدرة كمن نوم مغناطيسيًا قال (تورلسـون) من بين شفتيه المغلقتين :

ـ « لاداعى للبحث عن سكان الشقة أيها الضابط .. لم يكن بها سوى ساكن واحد .. »

ـ « هل تعرفه ؟ »

ـ « إنه أنا ! »

★ ★ ★

كانت معه بطاقة الائتمان ، وقد استطاع أن يحصل على غرفة فى ذلك الفندق ..

إن يومًا شاقًّا ينتظره غدًا وأسئلة كثيرة عن سبب الحريق .. لقد أجاب عن الكثير ، لكن هناك المزيد دائمًا .. وتهمة الإهمال ستظل تتأرجح أمام عينيه طويلاً .. التفسير الأقرب للمنطق أن هناك ماسًا كهربيًّا حدث فى الشقة .. لايعرف .. هذه أشياء يعرفها المحققون بسهولة غدًا ، أما الآن فهو فى كارثة .. لقد احترقت مكتبته التى كانت خليطًا فريدًا من كتب الطب والسحر .. هذه هى الخسارة الأهم ، أما المال فلم يكن فى الشقة الكثير .. الأثاث يمكن دائمًا تجديده ، وبعض الإصلاحات يمكن أن تعيد الشقة

لحالتها القديمة أو ما يشبهها .. المشكلة والخسارة الحقيقية هى الكتب ، وهذه لاتقدر كنوز الأرض على استعادتها ..

لماذا حدث ما حدث ؟

لقد ارتبط هذا برؤيته ذلك الشخص الغامض مبتور الذراع .. ما علاقته بالأمر ؟ إنه لم يحب رؤيته كثيرًا ولسبب لايفهمه .. وحقًا إنها لصدفة غير عادية .. يحاول الخلاص من ذراع فيمنعه من ذلك ظهور رجل مبتور الذراع ..

ما الذى كان هذا المخبول يريد ؟ ولماذا تقدم نحوه بهذه الثقة كمن يطالب بحق مشروع ؟

كانت أعصابه متوترة بحق ، وقرر أن يكف عن اللهو بهذه الأمور فيما بعد .. على من يمارس السحر الأسود أن يتمتع بأعصاب من حديد ، وهو مهزوز بعنف من جراء أحداث تلك الليلة الصاخبة ..

لايدرى متى نام لكنه فعلها .. وفى منامه رأى كوابيس عديدة أسوأ ما فيها أنها متداخلة ، وأنه لم

يذكر منها حرفًا حين أفاق .. فقط يذكر أنها كانت ليلة سيئة بحق .. ولحسن الحظ أنه ترك يد المجد هذه فى السيارة فى المرآب ، والا لزادت الطين بلة ..

كان النهار قد أطل ، فقرر أن يبدأ ترتيب أموره سريعًا .. لو كان رجال الشرطة قد فرغوا من المعاينة ، ولو كانت حالة البناية تسمح ، فإنه سيمضى الليلة القادمة فى شقته لأن هذا الفندق ليس مريحًا ..

* * *

لم تكن اليد فى الكيس !

كانت خارجه وعلى المقعد الخلفى ، وهو متأكد تمامًا من أنه تركها فى الكيس ، ودارى الكيس تحت المقعد الأمامى الجانبى .. أشياء كهذه لا يخطئ المرء فيها خاصة إذا فعلها وهو متيقظ نشط ، وقد كان متيقظًا نشطًا أمس ..

كان هذا غير مريح بالتأكيد ، وهو من الطراز الذى يعرف جيدًا ما يفعله .. لا يمكن أن يكون فعلها غافلاً أمس .. هناك من فتح السيارة وأخرج اليد من الكيس .. هذا واضح ..

عند الظهيرة احترقت السيارة .. نعم .. احترقت وهى فى موقف سيارات بالساعة وسط المدينة ، ولاداعى لذكر أن اليد لم تكن فيها وقتها ، لأنه أخفاها فى خزانة أمانات بالمحطة ..

لم يجد رجال الشرطة ما يريب فى الحادث ، فلم ير أحدهم شخصًا يدنو من السيارة طيلة ثلاث ساعات كاملة .. هذه الأشياء تحدث أحيانًا .. شرارة من المكان الخطأ تذهب إلى مكانٍ أكثر خطأ ، أو هذا هو التفسير الوحيد ، ولنحمد اللَّه على أن الحريق كان محدودًا ولم يؤذ أحدًا ، ولم يمسك بالسيارات المجاورة .. هل لديك تأمين على السيارة يا دكتور ؟ سيكون عليك أن تبرهن لهم على أنك لم تشعل النار عمدًا للحصول على مبلغ التأمين .. بعد هذا لن تخسر مليمًا واحدًا ..

إلا أنه من العسير تصديق حدوث حريقين فى وقت واحد لرجل واحد ، وكان عليه أن يقتع رجال الشرطة بما لم يقتنع به هو نفسه : هذه صدفة لا أكثر ..

فى المساء أصيبت زوجته السابقة بانفجار فى الزائدة الدودية .. واتصلت به والدتها لأنه لابد أن

يساعدها فى أمور كهذه .. لايوجد معها أحد وعليه أن يتصرف ..

وفى الحادية عشرة مساء كان قد انتهى من أمر المستشفى ، واطمأن على مطلقته .. وأدرك أنه لن ينام قبل أن يقوم بعمل مهم .. اتصل بصديقه الذى سهل له عملية الحصول على الذراع .. طلب لقاءه للأهمية ..

★ ★ ★

ـ « لكن دعنى أقل لك إن من يله بالنار يحترق بها .. وهذه الأشياء ليست للهو .. »

★ ★ ★

وفى غرفة مكتب صديقه جلس يجفف العرق عن وجهه ، ويقول وهو يرتجف بلا انقطاع :

ـ « كل هذه ليست مصادفات .. إن حياتى كلها قد دمرت أو تغيرت فى أربع وعشرين ساعة .. »

قال صديقه الخبير بالآثار :

- « ثمة أشياء كهذه حدثت من قبل .. أنت تعرف ما أصاب اللورد (كارنافون) بعد العثور على مقبرة (توت عنخ آمون) .. إن هذه القصص الرهيبة يمكن أن تملأ مجلدات .. »

- « خطر لى أن هذه هى بالضبط لعنة الفراعنة كما وصفها الأقدمون .. أنا رجل علم ولايجب أن أصدق هذا لكن .. »

- « رجال العلم الذين لا يصدقون هذا ، لايجوبون الشوارع ليلا يجربون وصفة سحرية من العصور الوسطى .. أنت تعرف كما أعرف أنك تصدق هذا وتؤمن به .. وعلينا ألا نكابر .. يبدو أنك أيقظت لعنة فرعونية شديدة البأس من قبرها .. ويبدو أن هناك من يحنق عليك بشدة »

نظر لصاحبه فى قنوط وتساءل :

- « هل يمكن أن يكون هناك تفسير أكثر منطقية ؟ »

ـ « لو أقنعتنى أنه من الممكن أن يحترق بيتك وسيارتك ، وتمرض مطلقتك فى يوم واحد ، لكان بوسعى أن أؤكد لك أن الفراعنة لا دخل لهم فى الموضوع .. »

ـ « والعمل ؟ »

قال صديقه وهو يصب بعض القهوة فى كوب ورقى :

ـ « أنت تعرف الحل .. لا بد من تصحيح هذا الخطأ .. لا بد من إعادة الذراع إلى المومياء التى أخذت منها .. »

ـ « تعنى أن أعود إلى مصر ؟ »

ـ « لا أجد حلاً آخر .. لا يمكن أن ترسل الذراع بالبريد المسجل ، وتوجه الطرد إلى الريس (خميس) هذا .. »

فكر (تورلسون) قليلا وهو يمتص القهوة من الكوب الورقى .. لا يدرى هل الانتعاش الذى يحسه هو من القهوة أم من الفكرة الموحية بالخلاص .. لكنه بالفعل بدأ يرى الفكرة لا بأس بها .. عودة المياه إلى مجاريها هى ما يريد ، ولو كانت الذراع بريئة من كل هذا ، فقد قام بما ينبغى القيام به ..

قال لصديقه وهو يلقى بالكوب فى سلة المهملات :

- « أطلب لى إحدى شركات السياحة .. يبدو أننى سأمضى أسبوعًا فى مصر على سبيل الترفيه .. »

★ ★ ★

الجزء الثانى

.. وطبيب مصرى لا يفهم ما يدور ..

- ١ -

أنا المختار من بين الملايين ، الذى يخرج من العالم السفلى ..

الذى لا يعرف اسمه أحد

إذا نطق اسمه على مجرى الماء جف ..

وإذا نطق اسمه فوق اليابسة اشتعلت النار ..

[تعويذة فرعونية قديمة]

★ ★ ★

لا أدرى لماذا جاءنى هذا الهاتف ولا ما دورى أنا فى القصة كلها ، لكن الساعة كانت التاسعة مساءً حين دق الجرس ، وسمعت صوتًا نرويجيًّا باردًا يتساءل عما إذا كنت أنا (رفعت إسماعيل) ..

قلت له إننى أنا ، وأنا أتوجس من سر هذه المكالمة .. كنت طيلة حياتى أمقت المكالمات النرويجية فى المساء ، ويبدو أننى كنت على حق ..

ـ « أنا (تورلسون) .. د. (يوهان تورلسون) .. تقابلنا فى مؤتمر الشهر الماضى .. »

طبعًا كنت أتذكر كل شىء لكننى أردت بعض الوقت كى أرتب أفكارى .. قال لى :

ـ « أنا أتكلم من القاهرة من فندق (...) .. هل يمكن أن يسمح وقتك بلقاء فى مكان ووقت يناسبان كلينا ؟ »

حككت رأسى مفكرًا ، وقلت وأنا أتمنى أن أجد سبيلاً للفرار :

ـ « ليكن .. سأقابلك فى لوبى الفندق غدًا فى العاشرة صباحًا .. »

ووضعت السماعة شارد الذهن .. ماذا جاء بهذا الرجل هنا ، وهو قد عاد لبلاده منذ أسبوعين لا أكثر ؟ ما سر هذه الصداقة المفاجئة وهو من الطراز البارد الرسمى ، الذى يحتفل بكل يوم يخسر فيه صديقًا ؟ طبعًا يريد خدمة ما ، فهذا هو السبب السحرى الوحيد الذى يحيل غير الودودين ودودين فجأة .. لكن أية خدمة ؟

★ ★ ★

- « إن الأمر يتعلق بمومياء ! »

قالها لى محاولاً أن يبتسم ، لكن ابتسامته لم تنجح إلا فى أن يسقط قدح القهوة من يدى ، حيث جلست فى لوبى الفندق الفخيم .. هذه آخر خدمة كنت أتوقعها ، ثم ما دخلى أنا فى هذا الأمر ؟ المفترض أنه لايعرف سمعتى السوداء فى هذا الصدد .. السمعة التى أحاول أن أخفيها حتى لا تختلط بصورة الطبيب المحترم .. لا أريد أن ينظر لى الناس كأحد المجاذيب أو المشعوذين الذين يملئون الأزقة خلف مسجد (الحسين) ..

قلت له محاولاً أن أتمالك نفسى :

- « أعتقد أن عندك قصة مهمة شائقة تفسر كل شىء ، وإننى لفى غاية الامتنان لو قصصتها على الآن .. »

كان - كما قلت لك - أشقر جدًّا .. أزرق العينين جدًّا .. أحمر البشرة جدًّا .. باردًا .. لكنه الآن لم يعد باردًا إلى هذا الحد .. ثمة خبرة قاسية مروعة مرت به ،

وجعلتـه أكـثر إنسـانية ، ولاحظـت أن زاويـة فمـه ترتجف أكثر من الـلازم ، وأن يـده اليمنـى تمسـك باليسرى كى لا تـهتز ..

راح يحكى ورحت أصغى ، وإننـى لأرجوكـم أن تسـمحوا لـى بالإنصـات قليـلاً .. أنتـم تعرفـون مـا لا أعرفـه طبعًا .. كـلا .. لـن أكـرر مـا قـال لأننـى لست من هذا الطراز من الكتاب .. الشىء الوحيد الجديد الذى لم تعرفوه هو أن الرجل جاء بـالذراع معه فى حقيبته ، وقد اعتزم أن يردها إلى موضعها ..

حين انتهى من كلامه كان سؤالى المنطقى هو :

ـ « ولماذا أنا بالذات ؟ »

قال وهو يضع ساقًا على ساق شاعرًا بالرضا لأنه انتهى من هذه القصة التى كانت حملاً على كاهله :

ـ « أنت مصرى أولاً .. هذه نقطـة مهمـة لأننـى أجهل كل شىء عن هذا البلد .. أعرف كل شىء عن تاريخـه لكننـى لا أعـرف شـيئًا عـن جغرافيتـه .. باختصار لابد من واحد من أهل البلد يساعدنى .. »

- « هذه نقطة قد أفهمها .. والنقطة الأخرى ؟ »

- « أنت مهتم بهذه الأمور . لقد سألت عنك زملاءك فى المؤتمر ، وكان التعليق الوحيد الذى يتكرر دائمًا هو : إن (رفعت إسماعيل) حجة فى عالم ما وراء الطبيعة .. ربما لهذا لم يمتلك عيادة خاصة .. ربما لهذا لم يتزوج .. ربما لهذا لا يملك مالاً .. إنه راهب الغموض والأسرار المتوارية تحت الأرض .. »

كنت أتوقع شيئًا من هذا .. لايمكن أن يجد أحدهم أن لخالته نابين ، أو أن عينى جاره مشقوقتان بالطول ، إلا ويجد من ينصحه بأخذ رأى العجوز (رفعت إسماعيل) لأنه يفهم فى هذه الأشياء ..

قلت له فى تهذيب :

- « دكتور (تورلسون) .. أنا متفق معك تمامًا فى وجوب إرجاع هذه الذراع لمكانها .. ليس لنتقى لعنة الفراعنة فأنا لست واثقًا من أن هذه هى مشكلتك ، ولكن لعدة أسباب »

ورحت أعد على يدى :

ـ « أولاً : هذه طريقة غربية مهينة لمعاملة البلد الذى استضافك ، فما كان منك إلا أن سرقت آثاره .. مثلك مثل الضيف الذى يزورنى ثم يتسلل إلى المطبخ فى أول فرصة ، ليسرق قطعة لحم من إناء الطهى .. »

قال فى ضيق وقد قرر أن يغضب هذه المرة :

ـ « لحظة .. »

ـ « لا تقاطعنى أرجوك .. لا داعى للكلام الرسمى لأننا نريد أن نتكلم بصراحة مطلقة .. أنتم الغربيين تتعاملون مع كنوزنا باستخفاف وغلظة كأنها ليست من حقنا .. ويبدو أنكم لن تشفوا من هذا الداء قريبًا .. يمكنكم دائمًا فهم غضب الإيطاليين بسبب وجود (الموناليزا) فى فرنسا ، بينما لا تفهمون أبدًا لماذا نغضب بسبب وجود تماثيلنا فى أوروبا .. ثانيًا : أنت خرقت احترام الموتى وحق هذا الفرعونى المسكين فى أن يدفن بالطريقة التى اختارها لنفسه ..

أنت تعرف كم كان الفراعنة يقدسون الموت ، ويقدسون سلامة جسدهم وقت الحساب ، ولهذا اخترعوا التحنيط .. ربما كان هذا كله هراء ، لكن من حقهم أن نتركهم فى الصورة التى أرادوا أن يظلوا بها .. أنت تقابل فى الغرب من يطلب كتابة قصيدة معينة على قبره ، أو دفن كراس معه ، وتجد من علامات التحضر أن تفعل ما طلب وتلتزم به حرفيًا .. لماذا تفترض أن هذا الفرعونى لا يستحق مجاملة أخيرة كهذه ؟ لقد استقبلت فرنسا مومياء (رمسيس) الثانى باستقبال رسمى جدير بالملوك ، باعتباره ملك دولة صديقة .. إن (رمسيس) لن يعرف بشىء من هذا كله ، لكن المهم هو المعنى والمغزى .. هذا هو ما يجعلنا بشرًا متحضرين .. »

- « ثالثًا : أنت سرقت جزءًا من جثة آدمى لتستخدمها فى السحر الأسود .. لا يوجد أحط من هذا إلا الساحرات اللواتى كن يلتهمن قلوب الأطفال النابضة .. الساحرات كن يُحرقن أو يُغرقن مثقلات بالحجارة .. فماذا يكون مصيرك أنت فى عصر العقل هذا ؟ لاشىء سوى أن أبدى ضيقى ونفورى .. »

ـ « لاشك أنك اتخذت القرار الصائب .. ربما كان متأخرًا لكن لا حل أمامك سواه .. أما أنا فلا أملك إلا أن أتمنى لك التوفيق ، وأقر أننى لست خير من يساعدك فى هذا الموضوع .. »

قال فى ضيق :

ـ « ماذا عن الذهاب إلى الأقصر للقاء هذا الدليل ؟ »

ـ « أنت ذهبت من قبل وحدك ولم تجد صعوبة ما .. يمكنك أن تفعلها ثانية .. أما أنا فارتباطاتى هنا تحول بينى والسفر .. ثم إننى لن أفعل سوى ما ستفعله أنت .. أين الريس (خميس) يا شباب ؟ ها هو ذا يا سيدى .. يا ريس (خميس) .. هذه هى الذراع .. خذها وأعدها حيث كانت .. شكرًا .. سلام .. »

نظر لى بعض الوقت ، شاعرًا ـ طبعًا ـ أنه أضاع وقته وكبرياءه ، وتلقى درسًا فى الأخلاق ممن لا يستحق .. رشف ثمالة القهوة ثم نهض وأغلق أزرار سترته وترك المكان ..

* * *

- « لكن دعنى أقل لك إن من يله بالنار يحترق بها .. وهذه الأشياء ليست للهو .. »

* * *

- « هذا بالطبع إن لم تكن أنت الشيطان ذاته ! »

* * *

فيما بعد عرفت ما حدث ..

لقد ارتحل الرجل فى اليوم التالى إلى الأقصر ، واستقر فى نفس الفندق الذى كان يقيم به فى المرة الأولى ، فما إن أفرغ حاجياته من الحقائب ، حتى ارتدى قميصًا قصير الكمين وصندلاً بما يناسب حرارة الجو القاتلة ، ونزل إلى الطريق يبحث عمن يدله على الريس (خميس) ..

فى المرة الأولى كان الأمر سهلاً لأن الريس (خميس) هو من وجده ، وكان أحد النرويجيين قد اتصل به ، وأخبره بالضيف المنتظر ، أما الآن فعليه أن يجد الرجل بنفسه ..

سأل عن الرجل فى بعض البازارات لكن أصحابها ـ الذين كانوا يجيدون الإنجليزية لحسن حظه ـ لم يتعرفوا الاسم .. ونصحوه أن يبحث بين الأدلاء ..

ركب عربة حنطور ، وقرر أن يسأل سائقها .. إن هؤلاء القوم أدلاء بالفطرة ، ويعرفون كل إبرة فى المكان .. المشكلة كانت هى أن الرجل لايعرف من الإنجليزية إلا بضع جمل ..

بعد جهد فهم الرجل أن السؤال عمن يدعى الريس (خميس) ، وفهم النرويجى أن الرجل ينصحه بالسؤال فى البر الغربى ، لأن عشش هؤلاء القوم متناثرة هناك .. ثم حك السائق ذقنه مفكرًا وقال :

ـ « أعرفه .. تقول الريس (خميس) ؟ أعتقد أننى أعرفه .. »

ثم كان أن نصحه بسؤال من يدعى (هميدة) .. (حميدة) طبعًا لو ترجمنا الكلام إلى العربية ..

وهكذا عبر النرويجى التعس المعدية إلى البر الغربى .. من جديد يحييه الذباب الذى لايترك الوجه

إلا ميتًا .. بحث وسط الأدلة الكثيرين ، وهو لا يردد إلا كلمتين (خميس) و(حميدة) .. اخترق عشرات من الخيول وعربات الكارو وهو لا ينفك يبحث عن وجه بعينه ..

أخيرًا برز (حميدة) من بين القوم ، وكان شابًّا فى العشرين من عمره ، أسمر اللون مجعد الشعر يرتدى سترة وسروالاً من مخلفات الجيش ، ويبدو أن عمره العقلى ـ بحكم التعامل اليومى ـ لا يقل عن الأربعين .. لهذا سأل النرويجى بطريقة البيع لا الشراء وهو يغمض إحدى عينيه تشككا :

ـ « لماذا تريده ؟ »

كانت إنجليزيته أفضل قليلاً من سلفه ، لكنها ظلت إنجليزية ترجمانات كما نعرفها نحن المصريين ..

قال (تورلسون) فى نفاد صبر :

ـ « أنا سائح وهو ترجمان .. لماذا أريده إذن ؟ خمن ! »

ـ « من العسير أن تقابله .. لكن لو كنت بحاجة إلى ترجمان ... »

ـ « فيما بعد .. فيما بعد .. ولماذا لا أستطيع أن أقابله ؟ »

هنا قال الفتى ما توقعتموه بالضبط ..

قال إن الريس (خميس) توفاه اللّٰه منذ يومين ..

★ ★ ★

ـ ٢ ـ

ارتجف (تورلسون) وعاد يكرر الكلمات .. الرجل مات منذ يومين ، وهو تقريبًا الوقت الذى وصل فيه إلى مصر ..

إنها رسالة واضحة جدًا .. كيف مات الرجل ؟ لا أحد يدرى على وجه اليقين .. إنه رجل مسن وهذه أعمار .. من يضمن منا ألا يسقط ميتًا الآن حالاً ؟

ـ « وهل .. هل دفن ؟ »

ـ « طبعًا يا خواجة .. هل كنت تريد أن ننتظرك ؟ »

كانت مشكلة قوية .. يمكنه أن يترك الذراع أو يتخلص منها فى أى مكان .. لكنه كان يعرف ما هو أفضل من هذا .. يعرف أن عليه دينًا يجب سداده .. فإن لم يسدده كان عليه أن يدفع ثمنه بالدم أو ـ فى أفضل الظروف ـ بالرعب طيلة حياته ..

لم تطل به لحظة التردد ، واتخذ قراره سريعًا .. انتحى بالفتى جانبًا ، وقال له هامسًا :

ـ « ثمة خدمة أريدها منك .. أنا مستعد أن أدفع .. أدفع بسخاء .. »

لم يقل الفتى شيئًا مواصلاً سياسة (بيع لا شراء) التى تبناها من اللحظة الأولى ، فقال (تورلسون) :

ـ « ثمة شىء جلبه الريس (خميس) لى .. شىء لا أرغب فيه وأرجوك أن أعيده إلى حيث كان .. هل تفهم كلامى ؟ »

قال الفتى مواصلاً توجسه :

ـ « أى شىء بالضبط ؟ هل تتكلم عن أثر يا خواجة ؟ »

ـ « نعم .. نعم .. قطعة من مومياء لو شئت الدقة .. »

ـ « إذن أنت أخطأت المكان والشخص .. نحن لا نتاجر فى الآثار .. »

كان يتوقع هذه الاستجابة ، فعاد يلح :

ـ « الأمر لايتعلق بأخذ شىء ولكن بإرجاعه حيث كان .. الفارق واضح .. »

قال الفتى فى حدة وهو يتهيأ للابتعاد :

ـ « شرطة الآثار لاتعرف الفارق بين من يحمل قطعة من جثة لتهريبها ، وبين من يحملها لإعادتها ، ولن يصدق أحد أى كلام عن إرجاع الأثر لمكانه .. »

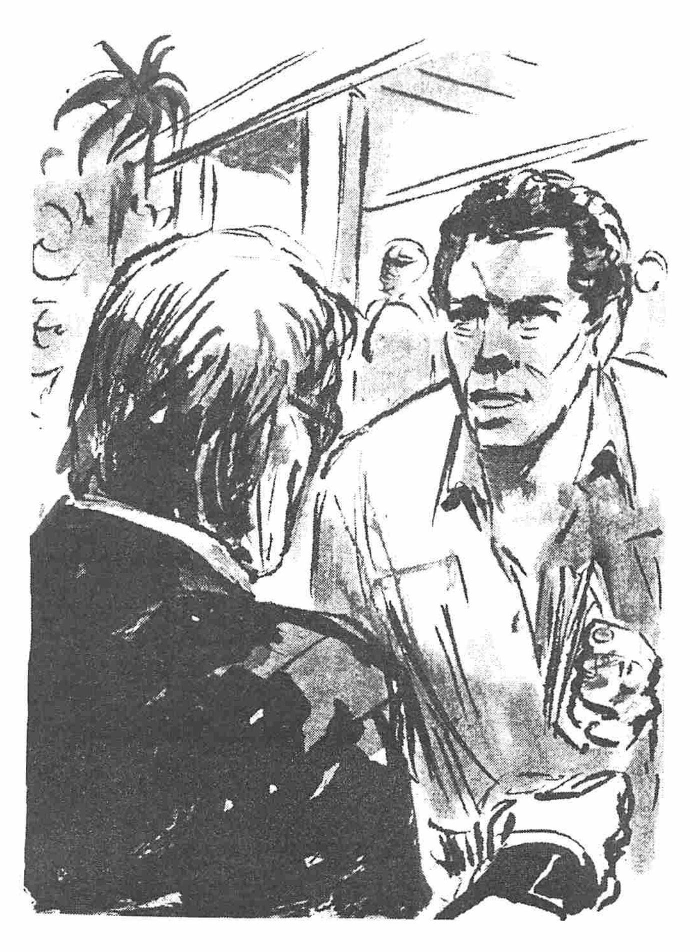
ـ « سأدفع بسخاء .. »

وفى قبضة الفتى استقرت حفنة من الأوراق المالية ، فنظر لها مليًا .. ثم أشعل لفافة تبغ ودس الأوراق فى جيبه .. لقد بدأ يلين نوعًا ..

ـ « ثمة مبلغ مماثل لهذا بعد انتهاء العملية .. »

ـ « لحظة .. لماذا تفترض أننى أعرف من أين جاء الريس (خميس) رحمه اللّٰه بهذه القطعة ؟ »

ـ « أنتم تعرفون هذه الأشياء جيدًا .. وأعتقد أنه فى مهنتكم لاتوجد أسرار .. »



وفى قبضة الفتى استقرت حفنة من الأوراق المالية فنظر لها مليًا ..

كان يعرف جيدًا قصة قبيلة الحربات التى كان أهلها يعرفون ويتوارثون سر أربعين مومياء مخبأة فى الجبل ، وكان هذا هو مصدر رزق القبيلة حتى انكشف الأمر عام 1881 .. لقد رأى كأكثر الأوروبيين فيلم (المومياء) الذى أخرجه (شادى عبد السلام) ، وهو يعرف أن القصة حدثت فعلاً .. هؤلاء القوم يملكون أسرارًا خاصة بهم ، محرمة على سواهم .. لكنهم جميعًا بلا استثناء يعرفونها ..

فكر الفتى بعض الوقت ثم قال :

- « ليكن .. هات الشىء عند الغروب ، وسأرى ما أستطيع عمله .. سأكون بانتظارك عند (الرامسيوم) .. هل تعرفه ؟ »

- « طبعًا .. أنا أعرف (طيبة) كظهر يدى .. »

ابتسم الفتى ساخرًا ونفث سحابة كثيفة من الدخان ، وقال :

- « إنها لم تعد (طيبة) ياخواجة .. اسمها الآن الأقصر .. »

ـ « إنها ما زالت (طيبة) بالنسبة لى .. »

ولا بد أنه حين انصرف لم يلحظ نظرة الفتى الساخرة إلى ظهره ، وبعدها طوح لفافة التبغ وعاد يواصل عمله ..

★ ★ ★

وبينما كانت الشمس تنحدر نحو الأفق الغربى ، حتى لتكاد تسمع صلوات كهنة (آمون) القديمة .. التقى الرجلان : المصرى الشاب والنرويجى الكهل .. نظر (تورلسون) حوله ثم مد يده بكيس ورقى كبير إلى (حميدة) ، وقال هامسًا :

ـ « هل عرفت من أين جاءت ؟ هل من وادى الملوك ؟ »

ابتسم الفتى فى غموض وقال :

ـ « أنت لم تأت لتسأل أسئلة .. لاحظ أننى لم أسألك لماذا أردت هذه القطعة ، ولا لماذا تعيدها .. كل واحد لديه أسرار يكره أن يعرفها الآخرون .. والآن ألقاك غدًا فى نفس المكان والزمان لأخبرك بما فعلت أو أعيد إليك أمانتك .. »

طبعًا لم يكن (تورلسون) بالسذاجة التى تجعله يتوقع أنها من وادى الملوك ، لكنه كان يسأل لمجرد السؤال .. إن هذا الوادى يحوى جثثًا ثمينة بحق لايمكن العبث بها .. لكن هناك مومياوات كثيرة في الأقصر ، أكثرها لعامة الشعب الذين لايذكر التاريخ أسماءهم ، وربما لاتعرف هيئة الآثار عنهم شيئًا .. وبالتأكيد لن يشعر أحد بفقد ذراع أحدهم ..

كان أول فرعون يفكر فى الدفن قرب النيل هو (أمنحتب الأول) من الأسرة 18 .. قبلها كان الفراعنة يفضلون بناء المصاطب والأهرام ليدفنوا فيها حتى يناديهم (أوزيريس) للحساب ، لكن المشكلة هنا هى أن اللصوص كانوا متحمسين أكثر من اللازم ، ولم يكونوا ممن يخافون لعنة الفراعنة على ما يبدو ، وكان من المهم للمصريين القدامى أن يلقوا حساب (أوزيريس) بكامل أعضائهم وكنوزهم وإلا فالويل لهم ..

لهذا قرر الفرعون (أمنحتب الأول) أن يجد لنفسه مكانًا بعيدًا غير روتينى ليدفن فيه .. مكانًا محاطًا بالجبال الوعرة ودانيًا من النيل نهر الحياة ..

وسرعان ما وجد الفراعين الذين تلوه أن هذا الموضوع مريح ومبهج وآمن .. وتكون وادى الملوك بنفس السرعة التى تنشأ بها قرى الساحل الشمالى اليوم .. لكنهم لم يستطيعوا الخلاص من عادة الأهرام المحببة ، لهذا اختاروا أن تطل على قبورهم هضبة هرمية يسميها الناس هنا (القرن) ..

هل ظلوا آمنين كما توقعوا ؟ بالطبع لا وإلا ما كنا نعرف عنهم أى شىء .. وكان الأخ المغامر الإيطالى (بلزونى) ـ عام 1817 ـ هو أول من أزعج سباتهم الطويل .. لقد وجد مومياء فى هذا الوادى ، وكانت تخص الملك (سيتى) الأول .. بعدها توالت الكشوف ، وصار وادى الملوك أشهر من نار على علم ..

فى اليوم التالى ، تم اللقاء وقال (حميدة) باسمًا وهو يشعل سيجارته :

ـ « كله تمام يا خواجة .. اطمئن .. »

ثم مد يده ، ولم يكن أمام (تورلسون) إلا أن يصدقه .. أخرج رزمة مكتنزة من المال ودسها فى يد الفتى ، وسأله بحذر :

ـ « هل أعدتها لنفس المكان ؟ »

قال الفتى ما معناه :

ـ « عيب .. أنت تتعامل مع رجل .. »

ـ « والتفاصيل ؟ »

ـ « لا أسئلة .. »

ودون كلمة أخرى راح يثب فوق الحجارة قاصدًا مجموعة من السياح تدخل المعبد ..

ما كان لدى (تورلسون) إلا أن يصدقه ويعود إلى الفندق ..

* * *

ـ ٣ ـ

القاهرة ..

حيث كنت أنا أمضى فترة من أجمل فترات حياتى ، برغم كراهيتى العارمة للحر الذى يتسلل إلى كل خلية من جسدى .. كانت الحياة هادئة كاللبن البارد ، واعتدت ألا يحدث شىء ما .. لقد كف أقاربى عن الموت (ربما لأنهم انتهوا) ، وكفت الأشباح عن مضايقتى (ربما لأنها عرفت أنه لا خطر منى) ، وكف أصحاب الأسرار الرهيبة عن طلب رأيى (ربما لأنهم أدركوا ألا جدوى هنالك ..)

فى هذا الوقت تدخلت الصدفة ، فى شكل دعوة على العشاء .. والداعى هو الدكتور (رمزى حبيب) خبير المصريات الذى التقيت معه من قبل فى قصة لعنة الفرعون (أخيروم) إياها(*) .. كانت هناك مومياء ،

(*) كان هذا هو الكتيب التاسع ..

وقد ارتكبت غلطة حين قررت أن أشرّحها بنفسى ، وكانت هناك بلورات تتناثر فى كل صوب ، تهدى حارس المقبرة إلى طريقى .. هل قرأتموها ؟ لا ؟ إذن حاولوا أن ترجعوا إليها .. أعتقد أنها كانت قصة جيدة ..

كما تعرفون كان الدكتور (رمزى حبيب) مولعًا بالبشر واجتماعيًّا ، وهى جريمة لا تغتفر بالنسبة لى .. لكنى سامحته لسبب واحد : هذا الرجل كنز من العلم يمشى على قدمين ، وكل مرة يفتح فيها فاه للكلام تضيف لعمرى أعوامًا من الخبرة ..

كانت زوجته (مارى) تقدم لنا الطعام الذى طهته بنفسها .. وهى من النوع الذى لا يحب الأكل ، لكنها تحب بحق أن ترى وحوشًا تتصارع عليه حتى الموت . إن هذا يملؤها فخرًا .. وكما كانا فى المرة السابقة لم ينجبا قط .. ومن الواضح أنهما لن يفعلا أبدًا ..

بالطبع دار الكلام بيننا عن القصة السابقة ، وبما أنه كانت فيها مومياء غاضبة ؛ فقد خطر لى أن أحكي له عن قصة ذلك المجنون النرويجى ، وتجاربه المنزلية على يد المجد .. لم أتوقع أهمية ما أقول للرجل ، لأن الابتسامة راحت تضمحل شيئاً فشيئاً عن وجهه ، وبدأت أخاديد من الاهتمام تتكون هناك .. ربع ساعة حكيت فيها قصتى كانت كافية لتبديل مزاجه كلية ..

ـ « وماذا حدث فى الأقصر ؟ »

قلت له فى خفة :

ـ « لاشىء .. إنه يبحث الآن عن الريس (خميس) هذا ، وأرجو ألا تكون مهمته يسيرة .. »

قطب جبينه أكثر فأكثر وتوقف عن المضغ ، فقالت الزوجة مروعة :

ـ « آآآآه ! أنت دست على ذيل الأسد النائم يا د. (رفعت) .. ما كان لك أن تحكى قصة كهذه لو كنت تعرف أدنى شىء عن زوجى .. »

لم يسمع كلامها أصلاً ، بل نظر لى نظـرة سوداء كارهة وقال :

ـ « هذه أمـور لا مزاح فيهـا .. هذه سـرقة آثـار لاشك فيها ، وكان واجبك نحو هذا البلد أن تبلغ عـن ريسك (خميس) وطبيبك النرويجى هذين من اللحظة الأولى .. »

ـ « هأنذا قد أبلغت .. »

ـ « بالصدفة .. إن أمثالك هم سبب تدمير ثروتنـا السـياحية .. والمصـيبة أنك من الطبقة المثقفة لهذا البلد .. تصمـت استهتارًا أو مجاملـة ، ثـم نجد ربـع آثارنـا هناك .. فى هـذا المتحـف أو ذاك .. لـدى هـذا الثرى أم ذاك .. »

ونـهض وقد عزم على اتخاذ إجراء سريع .. كلا .. ليس إعدامى طبعًا بل إبـلاغ شـرطة الآثـار أن هناك مـن يدعـى الريـس (خميــس) يقـوم بتهريـب أذرع المومياوات للسياح المتحمسين فى الأقصر ..

صحت فيه متوسلاً :

- « ليكن .. لكن لاداعى لإبلاغهم عن (تورلسون) .. إن الرجل الآن يحاول إعادة أثر لا سرقته .. »

- « هذا لا ينفى أنه سرقه من قبل .. »

قلت متوسلاً بحرارة أكثر :

- « (رمزى) .. لاداعى للإحراج أرجوك .. لقد ائتمننى الرجل على سره ، ومن المفترض أن أظل صامتًا .. أنت تعرف كما أعرف أنه لن يؤذى أحدًا بعد الآن .. سيفر فرارًا إلى وطنه .. »

بدأ يلين قليلاً وهز رأسه بما معناه أنه سيحقق لى هذا الحلم .. ثم قال والسماعة على أذنه :

- « ألم يخطر لهذا المخبول أن الترجمان قد خدعه ؟ ربما باعه ذراع جثة عادية عولجت كى تبدو قديمة .. »

قلت فى حيرة :

- « لم أفكر فى هذا .. »

ـ « حدث هذا مرارًا .. »

ـ « إذن لا نكون أمام قضية تهريب آثار بل قضية نصب .. »

ـ « سنعرف هذا حالاً .. آلو .. هل العميد (عصمت) موجود ؟ »

فلا تنس أننا كنا فى عصر لم تتحول فيه رتب الشرطة إلى رتبتين لا أكثر : بك وباشا .. ومضى يتكلم همسًا مع الطرف الآخر ، بينما رحت أعبث بالملعقة فى قدح الشاى الفارغ شاعرًا بالإثم ..

وحين عاد لى د. (رمزى) قال وهو يجلس ويتناول قدح الشاى الذى برد دون أن يشربه :

ـ « هكذا نعرف .. ثم إن لاهتمامى بالموضوع جانبًا علميًّا .. ربما كان هذا الترجمان يعرف مكان مقابر لا نعرفها .. إن قصة قبيلة الحربات شاخصة أمام عينى كل عالم مصريات .. إن كل شىء فى الأقصر بالغ الأهمية .. (طيبة) عاصمة مصر

القديمة تحوى من الأسرار أكثر مما فى رأسك .. أ .. فى رأسى من شعر .. عرفها الإغريق بهذا الاسم كما عرفوها باسم (ديوسبوليس) ـ أى المدينة السماوية ـ والتوراة تسميها (نو آمون) أى (مدينة آمون) .. لقد بدأ عمرانها من عهد الأسرة السادسة .. ثم تحولت إلى عاصمة البلاد التى تدين بدين (آمون) ، فلم يخرق هذا إلا (أخناتون) ولفترة وجيزة جدًا .. وظلت صامدة إلى أن دمرها الرومان فى القرن الأول الميلادى .. »

ـ « وفى (طيبة) بدأ الملوك من الأسرة الثامنة عشرة يختارون قبورهم ، وهكذا تكوّن وادى الملوك المهيب .. »

سألته والعبارة التى قالها لا تفارق مخيلتى :

ـ « وهل تعتقد بوجود مومياوات لا تعرفون عنها شيئًا بعد ؟ »

فكر قليلاً ثم قال :

ـ « إن فن التحنيط نشأ فى مصر حوالى عام 4000 قبل الميلاد .. كان هذا كما تعلم طقسًا دينيًا مهمًا

بالنسبة لهم .. يقال إن كهنة الفراعنة قاموا بتحنيط نحو 730 مليون جثة حتى انقرض هذا الفن حوالى سبعة قرون قبل الميلاد .. تخيل هذا ؟ 730 مليونًا ! كم مومياء وجدنا نحن وكم بقى ؟ إن الاحتمالات لتدير الرءوس .. ولكن سنعرف كل شىء بعد استجواب الريس (خميس) هذا .. »

★ ★ ★

بعد يومين اتصل بى ليقول فى الهاتف :

ـ « البقية فى حياتك ! »

صحت فى جزع :

ـ « هل توفيت زوجتك ؟ »

ـ « يا أخى الملافظ سعد .. لقد توفى الريس (خميس) هذا .. توفى منذ فترة ، ويبدو أنه فى نفس لحظة وصول طبيبك النرويجى إلى مصر .. الوفاة تبدو أقرب إلى نوبة قلبية أو ربما هى كذلك فعلاً »

ـ « صدفة غريبة حقًّا .. وماذا عن النرويجى ؟ »

- « هـل نسـيت ؟ أنـت طلبت عـدم إقحامـه فى الموضـوع .. بـالطبع لا أعرف عنـه شـيئًا .. لكننـا نجرى بعض التحريات بين معارف الترجمان ، ويبدو أننا بصدد شىء مهم .. أعتقد أننا سنجد المقبرة التى أخذت منها الذراع .. إن للشرطة وسائلها كما تعلم .. »

كنت قد نسيت كل شىء عن الموضوع ، وبـالطبع لم أكـن مهتمًّا بما تصـل إليـه التحقيقات .. بعد أيـام سيعلنون فـى الصحف عن اكتشـاف مقـبرة الأمـير (نخت - ساو - رع) - أو شـىء من هذا القبيـل - من أمراء الأسرة التسعين لو كان شىء كهذا ممكنًا ، وتظهر الصور أثريًّا يضحك فى جذل وهو يقف علـى بـاب مغـارة محـاط بالحبـال ، ومعـه يختلـس العمـال جزءًا من ابتسامات الصورة .. أسـنان بيضـاء وسـط الوجوه السمراء ، وبعدها ننسى الأمر برمته ..

لكن (تورلسون) لم ينس ..

★ ★ ★

نعود إلى (تورلسون) المسكين الذى عاد إلى الفندق ، ولسبب ما قرر أن يظل أيامًا فى الأقصر قبل أن يعود إلى القاهرة .. كان يشعر أن الأمور قد تحتاج إلى أن يظل هنا بعض الوقت ..

راح يقرأ فى الفراش بعض الوقت ، وكان الكتاب الذى يطالعه يتحدث عن مصر القديمة .. لايدرى متى هده التعب فنام .. لابد أنه وجد الوقت الكافى ليطفئ النور ..

وهنا تداخلت رؤى الواقع ، بذكريات اليوم ، بأضغاث الأحلام .. (حميدة) والريس (خميس) يقتادانه عبر نهر (ستيكس) الرهيب إلى مملكة (هيدز) حيث الأرواح المعذبة .. قال لهما إن هذا هراء لأن الأمر لايحمل طابع الأساطير الإغريقية ، لكنهما كانا مصرين .. على باب (هيدز) يجلس المتسول العجوز يعزف على قيثاره ، ثم يتوقف ليقول له :

- « إن من يله بالنار يحترق بها .. ما لم تكن أنت الشيطان ذاته ! ما لم تكن أنت الشيطان ذاته !

ما لم تكن أنت الشيطان ذاته ! ما لم تكن أنت الشيطان ذاته ! ما لم تكن أنت الشيطان ذاته ! ما لم تكن أنت الشيطان ذاته ! ما لم تكن أنت الشيطان ذاته ! »

وتتردد العبارة عبر وديان (هيدز) ومن مكان ما يأتى الكهل (رفعت إسماعيل) وقد بدا مثل (شارون) رسول الجحيم .. ينظر له ويقول :

ـ « مثلك مثل الضيف الذى يزورنى ثم يتسلل إلى المطبخ فى أول فرصة ، ليسرق قطعة لحم من إناء الطهى .. »

وتمتلئ السماء بالأذرع المبتورة والشموع المصنوعة من دهن المشنوقين ، وتتردد لفظة (يد المجد) عبر الآفاق .. ويصرخ (تورلسون) .. يصرخ .. يصرخخخخخ !!

وهب فى الفراش شاعرًا بالراحة المعهودة لمن يدرك أن هذا كان كابوسًا ، لكنه حين نظر جواره فى الفراش وجد المومياء نائمة !

ويصرخ (تورلسون) .. يصرخ .. يصرخخخخخ !!
ومن جديد يفيق ليدرك أنه رأى كابوسًا ضمن كابوس ، وهو أسلوب فريد شبيه بالمسرحية ضمن المسرحية كما فعل (شكسبير) فى (هاملت) ..

كانت الحجرة ساكنة هادئة .. فى الظلام تعتاد عيناه حدود المملكة القديمة .. لكن .. صبرًا .. ثمة شىء ما لا يريحه .. هذا الجسم جوار المرآة لم يكن هناك فى السابق .. جسم له أبعاد وحدود تعطى الانطباع بـ ......

هل هو كابوس جديد ؟ كابوس ضمن كابوس ضمن كابوس ؟ أم أنه ؟

وامتدت يده إلى الأباجورة جوار الفراش ، وضغط المفتاح .. فغمر الضوء الغرفة ، ورأى كل شىء ..

لم يكن مخطئًا ..

ليته كان مخطئًا ..

* * *

ـ ٤ ـ

ـ « وماذا فعلت بعدها ؟ »

ـ « ما هو طبيعى ومتوقع .. صرخت بأعلى صوتى .. جـ .. جاء الخدم إلى الحجرة .. لكن وسط الفوضى التى أعقبت صراخى فر (الشىء) مبتعدًا .. »

ـ « ولم يره أحد وهو يغادر الغرفة ؟ »

ـ « هذا ما حدث .. وطبعًا حـ .. حسبنى الجميع مجنونًا .. »

نظرت إلى الدكتور (رمزى) الذى جلس جوارى رافعًا عويناته كعادته فوق خصلات شعر رأسه الأشيب .. لم يكن يملك أسئلة ، وكذلك كنت أنا قد عرفت كل شىء عما فعله (تورلسون) منذ جاء إلى الأقصر ..

لقد اتصل بى فى الثالثة صباحًا .. كلا لم تكن مكالمة ولكن كانت نوعًا من العواء ، وبدا لى أنه على وشك الجنون إن لم يكن جن تمامًا .. قال وسط عباراته المختلطة :

- « يجب أن تساعدنى .. لابد من أحد يساعدنى .. لم أعد أستطيع مجابهة كل هذا وحدى .. اسمع .. أنا جاد فيما أقول .. سأقتل نفسى غدًا ، ولسوف أحملك المسئولية كاملة فى خطاب أتركه لإدارة الفندق .. ويوم أصير شبحًا سأطاردك فى كل ساعة من يومك و...... »

وهكذا لم أستطع .. لم أجد سبيلاً لمنع هذا المخبول من الانهيار التام ، إلا أن أتصل بالدكتور (رمزى) أستفتيه .. قال إن على أن أذهب إلى الأقصر إذا أردت أن أمنع معدوم الإرادة هذا من قتل نفسه .. إنه مصر على أننى قادر على إنهاء مأساته .. لا أدرى السبب .. كأن هناك من أخبره أننى من كهنة (آمون) أو ربما (آمون) نفسه ..

إلا أن ما شجعنى على الأمر هو أن (رمزى) قال إنه راغب فى الذهاب إلى الأقصر معى ؛ لأن الموضوع بدأ يثير اهتمامه .. تصور هذا ! أن ترى الأقصر ومعك عالم مصريات ! وأى عالم مصريات ! إن د. (رمزى حبيب) ـ بالإضافة إلى سعة علمه ـ لذو حيثية ونفوذ لا بأس بهما ، ويمكن أن تفتح له المعابد والمقابر التى لا يراها الغلابة غير المتخصصين من أمثالنا .. إن الموضوع مغر بحق .. ولن يؤذينى فى شىء ..

وحين وصلنا إلى الفندق ـ بعد رحلة مرهقة بحق ـ أثار دهشتى أن أرى ما تحول إليه (تورلسون) فى غضون أيام .. كان كما قلت نرويجيًّا بكل ما فى الكلمة من معان .. أشقر جدًّا .. أزرق العينين جدًّا .. أحمر البشرة جدًّا .. لكنه لم يعد يتمتع بأى نوع من التوازن العصبى ، وخطر لى أنه من الأسلم أن نسلمه إلى السفارة النرويجية لتعنى به .. كان جالسًا فى مقعده ينظر للأمام بعينين ذاهلتين دون أدنى نية لمبادلتنا النظرات أو الحركة ..

سألته :

- « هل تعنى أن إرجاع الذراع لم يكن كافيًا كى تتركك اللعنة ؟ »

قال د. (رمزى) فى نفاد صبر وبالعربية :

- « أى إرجاع ذراع ؟ يا (رفعت) لا تكن ساذجًا .. أولاً أنا أشك فى موضوع اللعنة هذا .. ثانيًا من الحماقة أن تحسب ذلك الفتى .. ماذا كان اسمه ؟ (حميدة) .. قد أرجع الذراع للمقبرة ذاتها .. من الواضح تمامًا أنه وجد أمامة مخبولاً يعرض مالاً وفيرًا .. لاتوجد مشكلة .. هاتها يا خواجة وسأعيدها لك .. وبالطبع تخلص من الذراع على أول كومة قمامة وجدها ، وعاد ليأخذ (الحلاوة) .. »

هنا قال النرويجى بالإنجليزية ، وهو لم يفهم عبارة (رمزى) الأخيرة :

- « لقد خدعنى الفتى .. لم يرجع الذراع مكانها .. »

بالعربية قال د. (رمزى) فى تهكم :

ـ « لاتوجد مستحيلات .. لقد فهمها هو الآخر .. إن الأجانب يحتاجون إلى وقت طويل قبل أن (يدهنوا الهوا دوكو) أو (يفهموها وهى طايرة) ، كما فعلنا نحن من أيام (أحمس) ! »

عدت أسأل (تورلسون) :

ـ « ألن تخبرنا بما رأيت حين أضأت الأباجورة ؟ »

فالحقيقة هى أنه لم يخبرنا بشىء قط .. كان ما رآه شنيعًا لكنى لا أدرى ما هو .. فقط كان يرتجف ويدارى عينيه كلما تطرق الكلام لهذا الجزء .. سألته فى إلحاح :

ـ « ما دليلك على أن الفتى خدعك ؟ »

ـ « هذا .. »

ومد يده إلى درج الكومود جواره وأخرج لفافة لها كل أبعاد منشفة الوجه المطوية .. لم أكن فى حاجة إلى فتحها لأعرف ما بها ..

ـ « الذراع ؟ .. ومن أعادها إليك ؟ »

- « هو ! »

ونظر لــى للمــرة الأولــى بعينيــه الزرقــاوين .. وأردف :

- « الشىء الذى كان فى حجرتى !! »

★ ★ ★

كمـا نتوقـع جن جنـون (رمـزى) .. هـرع إلـى اللفافـة وفتحهـا بيديــن ترتجفــان .. أخــرج الشـىء الرهيب منهـا ، وراح يتأملـه فـى انبهـار وقــد أعـاد عويناته إلى أنفـه .. برغم أننــى طبيب ، بـل وقمت بتشـريح موميـاء مـن قبـل ، فـإننى وجدتنـى أتحاشـى النظر إلى ما يحمله .. لقد اكتسبت هذه الـذراع قيمـة كابوسـية ثريـة بحـق .. قيمـة تتجـاوز بمراحل ذلـك الاشمئزاز التقليدى الـذى نستشعره تجـاه الأشـياء الميتة ..

صاح د. (رمزى) فى حماسة :

- « رائــع .. أعتقـد أنهـا أصـلية بالفعل فـلا أثــر



أخرج الشيء الرهيب منها ، وراح يتأمله في انبهار وقد أعاد عويناته إلى أنفه ..

للتلفيق فيها .. لكن المعاملة القاسية التى لاقتها فى أثناء موضوع (يد المجد) هذا قد غيرت لونها وتماسك أنسجتها .. »

قلت فى ضيق :

- « ألا تدرى شيئًا غريبًا فى هذا كله ؟ »

- « بلى .. الأظفار طويلة جدًّا وهذا ليس شائعًا فى ..... »

- « أتكلم عن زائر الليل الذى أعاد الذراع للرجل .. الأمر واضح .. إنه يريد من (تورلسون) أن يعيدها بنفسه .. ولا يلجأ لأحد .. سيظل الكابوس يطارده كلما حاول الخلاص من هذه الذراع » .

قال وهو يعيد لفها وقد بدا واضحًا أنه سيأخذها معه :

- « لا أدرى إن كنت محقًا أم لا .. لكن الأمر سيان عندى .. نحن سنجد المقبرة أولاً ، ويمكن لصاحبك وقتها أن يعيد الذراع بنفسه .. والآن أقترح أن تجد حجرة فى هذا الفندق لتعنى به ، وتكون قريبًا منه .. »

- « سأحاول .. وأنت ؟ »

- « إن أمامى عملاً كثيرًا .. »

ثم راح يغمغم كأنما يكلم نفسه :

- « الأظفار .. الأظفار .. هووووم .. هذا غريب ! »

★ ★ ★

بعد يومين ، وفى العاشرة صباحًا اتصل بى د. (رمزى) فى الفندق ، ولم أدر أين بات ليلته لكنه كان نشيطًا كبرغوث .. قال لى إن تحريات شرطة السياحة أثمرت ، وإن هناك بالفعل مقبرة منسية فى الجبل ، يبدو أنها كانت مدفنًا لعامة الشعب .. كان بعض الترجمانات يعرفها ، وبالذات الريس (خميس) الذى كان يلبى بعض الحاجات الخاصة لمن يدفع الثمن ، وكان يلجأ كثيرًا للسرقة من هذه المقبرة .. الغريب هنا أن النقوش على المقبرة تعود لعهد الأسرة الرابعة ، وهذا غير مألوف ..

- « وما هو الغريب فى هذا ؟ »

- « الأسـرة الرابعـة هى التـى كـان ينتمـى لهـا (خوفو) وسواه .. أسرى بنـاة أهرام .. فـى هـذا العهد لم يكن لـ (طيبة) أية أهميـة ، ولـم يكـن أحـد يدفن موتـاه هناك .. لم تبـدأ أهميـة الأقصـر إلا مع الأسرة السادسة ، وكما قلت لك ، لم يدفن هنا ملك إلا فى الأسرة رقم 18 .. هل فهمت الآن سر دهشتى ؟ »

- « هذه الأشياء تحدث .. »

- « تحـدث بالنسـبة لغير متخصص مثـلك ، أمـا بالنسبة لـى فكـان علـى أن أجـد الإجابـة .. والإجابـة كـانت فـى النقـوش .. إن صـاحب المقـبرة يدعـى (ددى) .. هل يذكرك الاسم بشىء ؟ »

لحسن الحظ لم تكن أغنية (شاب خالد) الشـهيرة قد ظهرت أيامهـا ، وإلا لبـدا ردى سـخيفًا يصيبـه بنزف مخى .. فقط قلت إننـى لا أعرف .. قـال فـى استمتاع :

- « (ددى) ـ الـذى أعرفـه أنـا ـ هـو السـاحر

الخاص لدى (ددف حور) ابن (خوفو) .. كان يعيش فى عهد الأسرة الرابعة فى (دد سنفرو) ، وكان عمره مائة عام لكنه كان يأكل يوميًا 500 رغيف وفخذ عجل ، ويشرب مائة جالون من الجعة .. هكذا تقول البرديات[*] .. »

ـ « ما شاء اللَّه .. ما أهمية هذا الغول لما نحن بصدده ؟ »

قال فى حيرة كأنما يفكر بصوت عال :

ـ « لو كان هو نفس الرجل ، فلماذا اختار الأقصر بالذات ليدفن فيها ؟ إننا لا نعرف شيئًا عن مقبرته ، لكن الدلائل حتى الآن تقول إنه هو الساحر الشهير .. وهذا هو الغريب فى الموضوع .. يبدو أنهم دفنوا الرجل هنا على سبيل المنفى .. »

ـ « إن البرديات تتكلم عن انبهار (ددف حور) ابن (خوفو) بهذا الساحر ، وكيف حكى لأبيه عنه

(*) كما هو واضح .. الشخصية حقيقية ، وما ورد عنها هنا معروف فى التاريخ الفرعونى ..

أغرب الأشياء ، من ثم استدعى الأب الرجل ليرى ما هو قادر عليه ، وكان استعراض الرجل مبهرًا : لقد طلب من (خوفو) ـ والكلام كلام البرديات ـ أن يقطعوا له رأس بطة وفرق بينه وبين الجسد .. بعد تلاوة عدة تعاويذ طار الرأس ليلتحم بالجسد ثانية .. نفس الشىء تكرر مع ثور .. وقد عرض (خوفو) ـ الكريم النفس ـ أن يجروا التجربة ذاتها على مسجون يقطعون رقبته ، لكن (ددى) رفض ذلك فى أدب .. »

ـ « فيما بعد تنبأ بأن امرأة تدعى (رووددت) ستلد ثلاثة أبناء يستولون على الملك .. وقد ضايق هذا (خوفو) كثيرًا ، وراح يبحث عن هذه المرأة دون جدوى .. فيما بعد ولدت (رووددت) هذه ثلاثة توائم هم (أوسر كاف) و(ساحورع) و(كاكا) ، وهم من صاروا ملوك الأسرة الخامسة فيما بعد .. يمكن أن تفهم سبب غضب (خوفو) على الساحر إلى حد دفنه هنا »

قلت وقد راق لى الأمر :

- « أى أن هذا الأحمق (خميس) لم يجد مومياء يسرق ذراعها سوى مومياء أقوى سحرة الدولة القديمة ! وهو ليس ساحرًا عاديًّا بل كان يأكل 500 رغيف وفخذ عجل ومائة جالون من الجعة كما تقول !! »

فطن إلى ما فى الأمر من دعابة سوداء ، فضحك ضحكة مكتومة ..

- « للأسف هذا صحيح غالبًا .. »

- « ومعنى هذا أن لعنة من أقوى لعنات السحر الأسود تطارد النرويجى الآن ؟ »

- « لو افترضنا أن الأمر كله ليس كذبة .. نعم .. أعتقد هذا .. »

سألته بلهجة من ينتقل للمهم فى جدول الأعمال :

- « والمومياء مفقودة الذراع .. هل وجدتموها ؟ »

- « بالطبع لا .. هل كنت تحسب الأمور بهذه

البساطة ؟ القبر خال كجيبك فى آخر الشهر .. أما السؤال عما إذا كانت المومياء قد سُرقت أم أنها فتحتْ المقبرة وغادرتها ـ وهو سؤالك التالى حتمًا ـ فأمر لا يمكن الإجابة عنه ، لأن الآثار فى المقبرة تصلح للاحتمالين معًا .. للاحتمال البوليسى أو الميتافيزيقى .. يمكن ببساطة أن تكون المومياء مخبأة فى مكان لم يعرفه إلا الريس (خميس) .. هذا هو الاحتمال البوليسى .. »

قلت أنا بدورى :

ـ « .. ويمكن أن تكون غادرت المقبرة بنفسها بحثًا عن ذراعها !! هذا هو الاحتمال الميتافيزيقى !! »

★ ★ ★

الجزء الثالث

لحظة الحقيقة

- ١ -

أنا المختار من بين الملايين ، الذى يخرج من العالم السفلى ..

الذى لايعرف اسمه أحد

إذا نطق اسمه على مجرى الماء جف ..

وإذا نطق اسمه فوق اليابسة اشتعلت النار ..

[تعويذة فرعونية قديمة]

★ ★ ★

« أفق من أغمائك فإنك ستهزم الجميع .. لقد انتصر (بتاح) على خصومك فلا وجود لهم .. »

[كتاب الموتى]

★ ★ ★

حين جلست مع د. (رمزى) فى شرفة الفندق ، نرمق المدينة من بعيد فى ضوء الفجر ، كنا نشعر

أننا نستنشق مع هواء الفجر أسرارًا لا قبل لنا بمواجهتها .. وأمامنا على منضدة صغيرة تتوسط مجلسنا ، كانت لفافة بحجم منشفة الوجه المطوية .. لفافة لا بد أن القارئ اعتاد منظرها حتى درجة الملل ..

سألنى (رمزى) وهو قلما يسألنى على كل حال :

ـ « لو تبنينا التفسير الميتافيزيقى لبدت لنا القضية متناقضة .. المومياء ليست فى قبرها ، لكنها برغم هذا تطارد (تورلسون) ليعيد ذراعها بنفسه .. كيف يعيده وهو لا يعرف أين هى ؟ »

قلت على سبيل التفكير بصوت مسموع :

ـ « توجد احتمالات عدة .. من العسير أن يفكر المرء كمومياء ، وربما كانت المومياوات لا تفكر بشكل منطقى .. ربما هى تحاول إثارة ذعر (تورلسون) فقط حتى يجن أو ينتحر ، وهذا على سبيل الانتقام .. الاحتمال الثانى أنها تطالبه بالعثور على مقبرتها الجديدة ، باعتبار هذه مشكلته .. الاحتمال الثالث أنه

لا شيء يطارد (تورلسون) وأن الرعب أفقده عقله تمامًا .. وتكون القصة عن (حميدة) وعودة الذراع مجرد هلاوس سمعية بصرية .. »

ـ « من العسير أن تجد الحل .. وأعتقد أن الصواب الوحيد هو أن نتصل بالسفارة النرويجية .. لابد أن لديهم مصحات نفسية متقدمة حقًا .. إن احتمال انتحاره يتزايد من ساعة لأخرى ، خاصة وهو من قوم مولعين بالانتحار على سبيل التسلية .. لا أريد أن تتحمل مسئولية كهذه ، ولا أن تحمل ذنبه على كاهلك ما حييت .. »

فكرت قليلاً ووجدت كلامه منطقيًا .. أنا لم أتخل عن صديق من قبل ، ولسبب بسيط هو أن أصدقائى قليلون جدًا .. لهذا لن أتخلى عن هذا الرجل الذى كان عالمًا مرموقًا ، إلى أن دمرت هذه الألعاب الخطرة جهازه العصبى .. وكان لى رجاء أخير طلبته من (رمزى) :

ـ « أعد الذراع إلى المقبرة .. فمن يدرى ؟ »

ـ « فكرت فى هذا ، وأعتقد أننى أستطيع ترتيبه برغم أن الأمر صار أكبر مما تظن .. »

هنا سمعنا صوت صراخ هستيرى مجنون ينبعث من خارج الغرفة .. تبادلت النظر مع (رمزى) لحظة ثم هرعنا نركض ـ بقدر ما سمحت به لياقتنا ـ نحو مصدر الصراخ .. كان هذا الصوت من غرفة (تورلسون) المجاورة لحجرتى .. وقد نسيت أن أخبرك أننى حولت الأخير إلى (نبات) أو (خضار) كما يقول الأطباء .. وذلك بكل المهدئات والمنومات التى جعلته يبتلعها ، وقد وجدت أن حماية شخص شبه مخدر أفضل بكثير من حماية شخص يقظ ..

كان بعض النزلاء قد خرجوا من غرفهم ، وبعض العاملين بالفندق جاءوا لا يعرفون ما ينبغى عمله .. كان باب الغرفة مغلقًا لكن المفتاح كان معى .. فتحته بيد ترتجف ، ودلفت إلى الداخل .. إلى الحجرة التى كان ضوء الفجر الناعس يغمرها ويكشف تفاصيلها على استحياء ..

كان (تورلسون) جالسًا على طرف الفراش .. أشقر جدًّا .. أزرق العينين جدًّا .. أحمر البشرة جدًّا ، وكان يضحك .. يضحك ضحكة غريبة ماجنة أعترف أنها لم ترحنى كثيرًا .. وحين رآنا قال كلمات ما بلغته ، ثم عاد يترجمها بالإنجليزية :

ـ « كان هنا .. وكان يرمقنى دون كلام لفترة طالت ! أعتقد أنه كان يقف جوار فراشى من البداية وأنا نائم كالثور لا أدرى بشىء .. »

سألنى أحد رجال الفندق الذين دخلوا خلفى :

ـ « سيدى .. ماذا يقول ؟ هل نستدعى الشرطة ؟ »

ـ « لا داعى .. يبدو أنه رأى كابوسًا .. »

نظر لى فى شك ، وأراد أن يقول شيئًا عن احتفاظى بالمفتاح ، بينما صاحب الغرفة لا يملكه ، ثم عدل عن هذا ، وأشار إلى المحتشدين عند الباب كأنه يعيد دجاجًا إلى عشه :

ـ « انتهى الأمر يا حضرات .. لقد رأى الخواجة كابوسًا .. »

تفرق الواقفون ، على حين جلست على حافة الفراش ، ونظرت إلى النرويجى عاجزًا عن الكلام فقال هو :

ـ « إذا كنت تنوى أن تحبسنى هنا ، فمن العدل أن تظل معى .. لا تتركنى سجينًا أواجه أشباحى الخاصة دون منفذ للهرب .. »

ما ضايقنى هو أن شيئًا من الرعب لم يبد على وجهه ، بل احتفظ بذلك التعبير الساخر العابث .. وهذا مخيف فى حد ذاته .. هذا الرجل مجنون أو ممسوس أو كلاهما معا ..

قلت له وأنا أتحاشى النظر لوجهه :

ـ « هذا عادل ، ولسوف أظل معك هنا .. لا تقلق .. »

هنا دخل د . (رمزى) ووقف وسط الحجرة مفكرًا ، ثم قال بالعربية :

ـ « السفارة النرويجية .. لا يوجد حل آخر .. »

لسبب ما فهم (تورلسون) هذا الكلام ، فصاح في هستيريا :

ـ « كلا .. لن أتركهم يرحلونني لأواجه ذات المشكلة في الوطن ! لو كان هناك حل فهو هنا .. »

ـ « نعم .. نعم .. أعرف .. لا تقلق .. سنعنى بك .. »

قال (رمزى) وهو يدس يديه فى جيبى سرواله :

ـ « ثمة أمر آخر مهم .. بينما كنت أنت تتكلم معه عدت أنا إلى الشرفة لأسترد الذراع ، التى نسيناها ونحن نجرى إلى هنا .. طبعًا من نافلة القول أن أخبرك بأنها اختفت !! »

★ ★ ★

جاء الليل ..

جاء بالسرعة الجهنمية التى قلت لك إنها لا تحدث إلا فى أفلام (هامر) القديمة ، وحيث تغرب الشمس ويسود الظلام فى الوقت القصير الذى ينزل فيه بطل

الفيلم إلى القبو ، ويفتح تابوت مصاص الدماء .. كأن هذا يستغرق عشر ساعات !

كنت أنا الآن ألعب دور البارون (فان هلسنج) الساهر جوار فراش (لوسى) .. لولا المبالغة لعلقت حزم الثوم على النافذة ورششت الغرفة بالماء المقدس .. فى مواجهتى الأولى مع لعنة الفراعنة ، لعب العسل والبصل دورًا مهمًّا فى حماية (هويدا) ومن معها ، لكننا وقتها كنا نعرف ما نحن بصدده .. أما الآن فأنا أكذب لو قلت إننى أعرف ما يدور هنا ..

فى الفراش يغفو (تورلسون) بتلك الطريقة المتقطعة المضطربة .. صوت جهاز التكييف الرتيب يتردد فكأنما يوسوس بالنعاس إلى ذهنى المكدود .. (رمزى) فى مكان ما - لا أدرى أين - ولم يعد للقاهرة بعد .. فى يدى كتاب سخيف عن (المسرح الملحمى) ، وهو كما ترون ليس بخير السبل لمكافحة النعاس .. إنها الآن الثانية صباحًا .. سيطلق سراحى فى التاسعة ، لأنه وقت تدب الحياة

فى المكان ويمكننى أن أعود لغرفتى لأغوووص فى الفراش .. أقسم إننى سأنام وقتها عشر ساعات متواصلة وربما للأبد ..

المشكلة هى أننى فى مأزق ولا أعرف كيف أخرج من هذا كله ولا متى ينتهى .. الحل الوحيد هو العودة بالنرويجى إلى القاهرة والخلاص منه بشكل أو بآخر ، لكنٍ على الانتظار حتى يهدأ قليلاً ، وإلا ملأ الدنيا صراخا ..

فى الثالثة صباحًا سقط الكتاب من يدى .. وسقط رأسى على صدرى ..

لا بد أننى لم ألبث فى هذا الوضع إلا نصف ساعة أو أقل .. شىء ما جعلنى أفتح عينى من دون سبب ظاهر .. كنت قد خفضت الإضاءة بشكل يسمح لى بألا أزعج النائم ، وفى الوقت نفسه أستطيع القراءة .. وفى هذا الضوء الخافت رأيته ..

لم أر النائم طبعًا بل ما يدنو من فراشه ..

★ ★ ★

« لكن دعنى أقل لك إن من يله بالنار يحترق بها ..
وهذه الأشياء ليست للهو .. »

★ ★ ★

كان رجلاً .. لا بد من أن أكون دقيقا فى هذا الصدد .. لم يكن تلك الشخصية الملفوفة بالضمادات كما عودنا (بوريس كارلوف) فى أفلامه عن المومياء .. لو شئنا الدقة أكثر لقلنا إنه رجل عادى المظهر تمامًا ويرتدى ثيابًا عصرية رثة قليلاً .. كان رأسه مائلاً بشكل غير معقول على كتفه ، وهذا وضع غريب لكنه ليس مستحيلاً ..

فقط لاحظت أنه من دون ذراع يمنى ، وأنه يحمل فى ذراعه اليسرى لفافة .. لم أتحرك ولم أكن راغبًا فى التحرك .. ظللت جالسا كما كنت ورأسى مائل قليلاً للأمام .. أغمضت عينى لأختلس النظر بين أهدابهما ، وخطر لى أنه من الخير ألا يعرف هذا القادم أننى متيقظ .. عرفت بالغريزة أن أية حركة مفاجئة قد تؤدى إلى ما لا تحمد عقباه ..

وضع ما يحمله على الفراش جوار النائم التعس ، ثم استدار ليرمقنى .. كان هذا هو الشيء الوحيد الذى جعلنى أدرك أن ما أراه خارق للطبيعة حقًا .. كانت عيناه بلا حدقتين ، وكان لونهما أحمر كالدم .. كالطماطم .. كستائر مصاصى الدماء ..

كانت لحظة خاطفة لكنى شعرت كأنها دهر ، وأننى موشك على الصراخ كالأطفال .. ثم استدار مبتعدًا ليدور حولى .. كان وراء ظهرى الآن ، وشممت رائحة لا أستطيع وصفها بأنها كريهة .. منفرة نعم لكنها ليست كريهة لو كنت تفهم ما أعنيه .. رائحة غريبة لا تنتمى لشيء أعرفه .. رائحة تعيدك إلى ذكريات لم تعشها ، ووجوه لم تلقها ، وأماكن لم تزرها ، وخبرات لم تكتسبها ، وكلمات لم تسمعها ..

إنه خلفى الآن ! ماذا يفعل بالضبط وماذا ينوى ؟

★ ★ ★

- ٢ -

صحوت من النوم ظهرًا كما توقعت .. كنت منتعشًا تمامًا ، وإن أثقل كاهلى التفكير فيما على أن أفعله اليوم من حراسة (تورلسون) .. خرجت إلى الشرفة واستنشقت نفسًا عميقًا جعلنى أسعل ، ليس الهواء النقى مما يناسب صدرًا كصدرى ..

ارتديت ثيابى واتجهت إلى غرفة الرجل ، وقرعت الباب مرارًا كما أفعل قبل أن أفتحه دومًا ، فلم يرد أحد .. غريب هذا ! حتى فى غيبوبته لا يفوته أن يسمع صوت طرقاتى من عالم الحلم .. كان الباب موصدًا فأخرجت المفتاح من جيبى ودسسته فى الثقب ..

دخلت الغرفة فوجدت .. لا لم أجد شيئًا .. كانت خالية كعقل (هويدا) خطيبتى السابقة ، وكان الفراش مضطربًا لكن لا أحد عليه .. الغرفة فى حالة فوضى توحى بأن حركة صاخبة حدثت هنا .. حركة

صاخبة لكنها لا توحى بمعركة .. ولم تكن هناك إلا تلك الرائحة الغريبة التى وصفتها لك ..

بحثت عن ثياب (تورلسون) فلم أجدها .. لقد خرج .. غالبًا خرج بإرادته .. ولكن أين ؟

رفعت السماعة وطلبت الاستقبال .. جاءنى صوت الموظف يتساءل فى غلظة عما أريد ..

- « هل رأيت نزيل الغرفة 116 ؟ طبيب نرويجى اسمه (تورلسون) .. (يوهان تورلسون) .. »

قال فى ملل :

- « إنه فى المستشفى يا سيدى .. ألم تشعر بالأمر ؟ لقد كان الجميع هنا فى الصباح .. »

- « فى المستشفى ؟ والسبب ؟ »

- « محاولة انتحار .. لقد ابتلع علبة كاملة من المنوم .. »

- « علبة منو ..... ؟ وهل مات ؟ »

- « سبحان اللَّه ! أقول لك إنه فى المستشفى .. أنا أتكلم العربية يا أستاذ .. »

لسبب ما يكرهنى هذا الرجل كأننى قتلت زوج عمته وهربت .. ولكن لحظة .. أين فعلها النرويجى إذا كنت أنا الآن فى غرفته ، وكيف فتحوا الباب إذا كان المفتاح معى ؟

تجاسرت وسألت الموظف العصبى عن هذا ، فقال بنفس الصبر النافد :

- « لقد قرع الجرس ثم غاب عن الوعى ، وقد اضطررنا لفتح غرفته بمفتاح (الماستر كى) .. يبدو أنه راجع قراره فى اللحظة الأخيرة وحاول الاستغاثة بنا .. لو لم يفعل لكان فى المشرحة الآن .. »

ولم أنتظر أكثر .. وضعت السماعة وقررت أن أغادر الغرفة حالاً .. من الواضح أن أحدًا لم يربط بينى وبين النرويجى بعد ، لكنهم سيفعلون هذا سريعًا ، ولسوف تنقلب الأرض لتخرج ما فيها من ديدان فوق رأسى .. لماذا كنت أحتفظ بالمفتاح معى ؟

ولماذا قضيت الليل فى غرفته ؟ ولماذا حبسته فيها ؟ إن هناك على الأقل شاهدين على ذلك من موظفى الفندق .. تفسير هذا يطول جدًا ..

هناك سائح فى الموضوع وانتحار وقضية سرقة آثار .. والكثير جدًّا من القاذورات التى تحتاج إلى شهر كى أخرج نفسى منها ، حتى لو ساعدنى (رمزى) ..

عدت إلى غرفتى شارد الذهن ، فاستلقيت على الفراش بثيابى أفكر ..

أين د. (رمزى) من كل هذا ؟ وأى شىء يفعله بالضبط وأنا فى هذا السيرك الذى نصب خيامه فى هذا الفندق ؟ يجب أن أذهب إلى المستشفى لأعرف ما حدث للرجل ، لكن كيف أسأل عنه دون أن أفسر من أنا ؟

يبدو أن الحكمة تقضى بأن أتصل بـ (رمزى) وأخبره أننى عائد إلى القاهرة .. أنانية ؟ لا أنانية هنا .. إن المشكلة ليست مشكلتى ، ولست أنا من

مارس السحر الأسود على ذراع مومياء .. (تورلسون) فعلها وعليه أن يدفع الثمن ..

ثم تعال هنا .. لن أكون أسوأ من (جان جاك روسو) الذى أنجب خمسة أطفال تخلص منهم تباعًا على باب الملجأ حتى لا يشغلوه عن الفلسفة .. وفيما بعد كان يمشى جوار أعز صديق له فى الشارع ، حين أصيب هذا الأخير بنوبة صرعية .. عندها تركه الأديب العظيم وجرى ، ولم يره منذ ساعتها قط !!!

ليس (تورلسون) ابنى وليس أعز صديق لى ، كما أننى لست (جان جاك روسو) !! لهذا سأهرب من هنا ولن أشعر بذرة ندم .. وكما يقولون : « على من يتناول طعامه مع الشيطان أن تكون ملعقته طويلة .. » و ..

★ ★ ★

« إن من يله بالنار يحترق بها .. وهذه الأشياء ليست للهو .. »

★ ★ ★

واتجهت لأفتح خزانتى كى أحزم ثيابى ، حين وقعت عينى على اللفافة الموجودة على الرف .. لفافة تشبه المنشفة المطوية .. لفافة تبدو مألوفة إلى حد كبير ..

ماذا أتى بهذا الشىء الكريه هنا ؟؟ أم هل أقول من ؟

وجلست على الفراش أفكر فى معنى هذا .. الرسالة واضحة ولا تحتاج إلى ترجمة .. أما وقد هلك (تورلسون) أو المفترض أنه هلك ، فعلى أن أحافظ على هذا الشىء وأن أعيده بنفسى ..

هل أتلقى إذن دورى من هذه المطاردات الليلية المخيفة ؟

إن أمامى حلاً واحدًا ممكنًا هو أن أفر فرارى من الأسد .. لو كان توقعى صحيحًا فلسوف يلحق بى الكابوس فى القاهرة .. لكنى سأهرب على كل حال ، ولكن ليس قبل أن أكلم (رمزى) لأخبره وأطلب منه مطلبًا أخيرًا ..

لم يطل انتظارى لحسن الحظ لأن (رمزى) جاء فى هذه الأثناء من الخارج .. كان مرهقًا يحمل أوراقًا كثيرة ، ودخل غرفتى ، وألقى بما يحمله على الفراش ، وتنهد وهو يلقى جسده إلقاءً على مقعد :

ـ « كان يومًا عصيبا .. مازلنا غارقين فى مئات الأسئلة .. إن تلك المقبرة غريبة جدًا ، وقد نهبت بعنف .. بتوحش .. كأن هذا الريس (خميس) لم يكن يفعل شيئًا طيلة حياته سوى سرقتها .. »

ثم رأى وجهى الممتقع فقال :

ـ « ما بك ؟ تبدو كأنما قتلت قتيلاً .. »

ـ « تقريبا .. »

وألقيت بالذراع الملفوفة ـ التى لم أحبها قط ـ على حجره .. فأجفل قليلاً ، ثم نظر لى غير فاهم :

ـ « ألم تختف أمس ؟ أين كانت ؟ »

ـ « اختفت وعادت ! لقد أعادها لى المسخ مع عبارة



وألقيت بالذراع الملفوفة - التى لم أحبها قط - على حجره .. فأجفل قليلاً ، ثم نظر لى غير فاهم ..

من قبيل (إلعب لعبة أخـرى) .. وثمـة خبر آخر : لقد انتحر (تورلسون) ! بعبارة أدق حاول الانتحار .. »

من الواضح أنه أحمق مثلى لأنه لم يبد على أدنى علم بهذا .. هذا طبيعى لأنه لم يدخل الفندق منذ عشرين ساعة كاملة أو أكثر .. رفع حاجبيه عاجزًا عن توجيه السؤال (كيف) ثم عاد إلى صوابه .. سألنى فى لهجة لائمة :

ـ « تبًا لك من مهمل ! ماذا كنت تفعل جوار فراشه طيلة الليل إذن ؟ تغط فى نومك كالدببة ؟ »

ـ « حدث هذا فى الصباح بعد انتهاء ورديتى .. وعلى كل حال لم يتضمن عقدى ضمانًا بألا يموت هذا الرجل للأبد .. »

وله حكيت بالتفصيل ما عرفت فى الساعات الأخيرة .. كان يصغى لى محتفظًا بوقاره باعتبار أن الدهشة تقلل من وسامة المرء المندهش .. وحين فرغت من قصتى قلت له متوسلاً :

- « يجب .. يجب أن تخلصنى من هذه الذراع .. أعدها للمقبرة وادفنها أرجوك .. »

فكر حينًا ثم سألنى :

- « هل تعتقد أن اللعنة ستنتهى بهذا الشكل ؟ »

- « لا أعرف سبيلاً آخر .. عندما تشم رائحة غاز فى شقتك ، ابدأ بغلق محبس الغاز ثم ابحث عن سبب آخر محتمل لهذه الرائحة .. »

- « ليكن .. »

قالها وهو ينهض وينظر إلى ساعته :

- « إنها الثالثة بعد الظهر .. سأتناول لقمة ثم أمر عليك لنتوجه إلى المقبرة .. ليس الدخول سهلاً كما تعلم ، فهى تقع تحت سلطة السياحة الآن .. لكنى سأجد طريقة ما .. »

نظرت إليه باحثًا عن كلمات بليغة فلم أجد إلا :

- « شكرًا يا (رمزى) .. »

- « عفوًا يا (رفعت) .. »

إن الصديق الذى يعين صديقه على التخلص من مطاردة مومياء لهو صديق نادر فى هذا الزمن .. هذه حقيقة لابد من الاعتراف بها ..

* * *

فى المساء كنت فى القطار متجهًا إلى القاهرة ..

وصممت على أن أترك هذه الأحداث خلف ظهرى .. « سأترك معول النسيان كى يعنى بأنقاضى » كما كنت أقول فى قصيدة قديمة لى .. بينما (تورلسون) يستطيع العناية بنفسه أو تستطيع السفارة النرويجية أن تعنى به ..



- ٣ -

عدت لممارسة عملى بعد انقطاع .. كانت هناك أشياء كثيرة متراكمة على كاهلى ، وقد قضيت اليوم التالى كله أنهيها .. أجريت بعض اتصالات مهمة ، وبحثت فى كتبى كثيرًا .. ثم نظرت إلى تقويم المكتب .. إنه الحادى عشر من أغسطس .. لشد ما يمر الصيف بسرعة ، وأنا الأحمق الوحيد الذى قرر أن يقضيه فى الأقصر .. حقًّا لبثت هناك فترة لا بأس بها ، وكنت أقف تحت (الدوش) عشر مرات يوميًّا ، حين أدركت أن قطرة الماء تنحدر على جلدى لتتحول فى أثناء انزلاقها إلى عرق مالح ..

فى الثانية عشرة ظهرًا توجهت إلى الكلية ، وكانت خالية على عروشها ، لا ترى هنا أو هناك إلا عمالاً أو موظفين صرعهم الحر .. ويتمنون فى صبر أن ينتهى اليوم سريعًا ..

مشيت فى تلك الردهة الخالية المؤدية إلى المشرحة ، ورائحة المطهرات و(الفورمالدهايد) الكريهة تحرق عينى .. صوت كعبى حذائى هو الصوت الوحيد فى هذا السكون المطبق .. لحسن الحظ لا يوجد أحد من الأطباء هنا ، لأننى لست رائق المزاج للمجاملات ، والسؤال عما إذا كنت تزوجت أم لا ولماذا ؟ لا سمح اللَّه .. بعدها يأتى دور زجاجة (الأسترا) أو (السباتس) - المشروبان السعيدان فى تلك الأيام - وكلاهما كريه المذاق فى رأيى ، لكن لا بد من الشرب حتى لا أتهم بتعمد الإهانة ..

وحيدًا اتجهت إلى قاعة التشريح الكبيرة .. ولم يكن هناك كثير من الجثث على المناضد الرخامية لأننا فى نهاية العام الدراسى .. لقد انتهى الطلبة من تمزيقها تمزيقًا فلم تعد إلا أشلاء كبقايا قنبلة (هيروشيما) ..

نظرًا لقلة الضبط والربط فى هذه الآونة من العام ، كان العمال جالسين يعدون الشاى فى ركن القاعة ويدخنون .. شاى (السبرتاية) ذكى الرائحة ذو العبق

الخاص ، خاصة فى عهد ما قبل السخانات الكهربية .. هذا هو عم (أبو اليزيد) أقدم العمال هنا وأضخمهم والذى أوصلته مكانته وقدمه إلى ما يشبه الرمز للكلية ، وحتى العميد نفسه لا يستطيع إلا معاملته باحترام وتبجيل ..

انشرحت لأنه هنا ، ولأنه ما زال حيًا برغم أنه يصاب بسرطان المثانة كل عامين .. وكانت بيننا علاقة حميمة من زمن ..

ـ « تفضل يا دكتور .. شاى ؟ »

هكذا سألنى وهو جالس ، وما كنت لأرحب بأن يقف لى على كل حال .. إننى عاجز تمامًا عن التعامل بتعال مع من هم أقل منى مالاً أو مركزًا ، لأننى أنظر إلى محتواهم الإنسانى الذى قد يكون ثريًا .. ربما أفضل منى بمراحل .. والبعض يعتبر هذا (قلة قيمة) منى لكنى لا أستطيع أن أكون شخصًا آخر .. هززت رأسى موافقًا .. إن شاى المشرحة لا يرفض بحال ..

وجلست جواره نشرب الشاى الأسود عطر الرائحة ونتبادل كلمات مجاملة عن حال الدنيا والناس .. وكان له رأى دائم هو أن « النفوس لم تعد صافية مثلما كانت زمان » .. وكان يردده منذ عرفته من خمس وعشرين سنة حتى إننى لا أفهم متى كانت النفوس المذكورة على ما يرام ؟

فى النهاية جاء بيت القصيد ، وكان زملاؤه قد انصرفوا يبحث كل منهم لنفسه عن عمل ، فدنوت منه وهمست :

ـ « عم (أبو اليزيد) .. من أين تأتون بالجثث التى نشرحها هنا ؟ »

بدا عليه الارتياب ممزوجًا بعدم الفهم .. هل سؤالى هذا نوع من الاتهام ؟ والحقيقة أن تهمة نبش القبور مسلطة دومًا على عنق كل عامل هنا وعليه أن يثبت العكس .. قال فى ضيق :

ـ « أنت تعرف يا دكتور .. ناقصو الأهلية الذين

لم تجد الشرطة أهلاً لهم أو الذين رفض أهلهم استلام جثثهم .. »

ـ « ولماذا يرفض الأهل استلام جثة قريبهم ؟ »

أشعل لفافة تبغ وأخذ نفسًا وبصق وقال :

ـ « هذا يحدث كثيرًا مع الجواسيس الذين يعدمون ويتبرأ أهلهم منهم ، أو مع ابن فاسد أتعب أهله وجعل يوم إعدامه عيدًا لهم .. هؤلاء يتركون الجثة فتسلمها النيابة لكلية الطب .. »

فكرت حينًا ثم سألته :

ـ « هل تجيء حالات إعدام كثيرة ؟ »

ـ غالبًا نعم .. »

وأشار باللفافة المشتعلة إلى الغرفة المجاورة حيث الثلاجة ، وقال :

ـ « هناك واحد جاء من يومين ، ولم نعدّه بعد .. لا أعرف تهمته لكنه شُنق على كل حال .. »

صحت فى نشوة :

ـ أى أن جثته موجودة ومتاحة ؟ »

ـ « نعم .. ولكن لماذا تسأل عن هذه الأمور ؟ »

ملت بوجهى نحوه وأخبرته همسًا بما أريد .. وما أريد كان غريبًا لم يعتده ، لكنه يتوقع هذه الطلبات الغريبة من الأطباء .. هناك من يجمع الزوائد الدودية الخارجة من غرف الجراحة ، ومن يجمع المشيمات من أقسام التوليد ، و(روبرت كوخ) العظيم كان يدور على السلخانات يجمع عيون الثيران المقلوعة ، والسبب أنه وجدها الوسط الأكثر ملاءمة لزرع بكتريا الجمرة الخبيثة ..

هز رأسه فى تردد ، فقلت :

ـ « وسأدفع ما تأمر به .. »

ودسست فى جيبه بعض الأوراق المالية ، فهز رأسه دون أن يحاول منعى :

ـ « ليس الموضوع موضوع مال .. المشكلة هى أن .... »

ثم حزم أمره ، فقال لى وهو يلقى بلفافة التبغ على الأرض ، ويدوسها بحذائه العملاق :

ـ « ليكن .. تعال غدًا فى العاشرة صباحًا ، ولسوف تجد الأمانة جاهزة .. »

وانصرفت مغمغمًا بالأمل والرضا .. هذه عقبة كأداء تم حلها بطريقة لم أتخيلها ..

★ ★ ★

فى الأقصر فى الوقت ذاته ..

كان د . (رمزى) يعيش أحلك ساعاته ، وهو واقف وسط التراب فى المقبره الفرعونية الخالية .. كان معه اثنان من الأثريين ، وقد حمل أحدهما كشافًا عملاقا مما يوصل ببطارية سيارة .. وسلطها على النقوش الجدارية التى تشير إلى حياة المتوفى وإلى ما يتوقع أن يفعله عند البعث ..

كان القبر رطبًا خانقًا ، والتراب يملأ كل شىء .. وقد اختلط العرق بالغبار صانعًا مزيجًا يسهل معه أن

تنتحر.. لكن د. (رمزى) كـان يملـك مـا يكفيـه مـن متاعب بحيث لا يحتاج إلى المزيد ..

سأل أحد الرجلين وهو يضع المنديل على أنفه :

ـ « هل أنت متأكد من هذا ؟ »

ـ « بالتأكيد .. إن خبير اللغة الهيروغليفية يؤكـد ذلك .. »

ـ « كنا حمقى إذن .. »

صمت الرجل الآخر تأدبًا ، وإن بان فى عينيه أنه فعلاً يؤمن أنهم حمقى ..

قـال (رمـزى) وهـو ينظـف بيـده الحــرة بعـض النقوش الجدارية :

ـ « هذا يتمشى مع المنطـق إذن .. هـذه المقـبرة لا تخص الأسرة الرابعة ، وإنما هى تنتمى إلى عهد يليها بكثير .. و(ددى) ليس هو ساحر ابن (خوفو) .. إنـه (ددى) آخر .. »

ـ « هذا واضح .. »

ـ « وهل تكلم ابن الريس (خميس) هذا ؟ »

قال الرجل حامل الكشاف :

ـ « ليس بعد .. فقط يعرف أن أباه كان يجيء هنا كثيرًا ، ومن الواضح أن اثنين أو ثلاثة آخرين كانوا يعرفون مكانها .. يبدو أن عدد القطع التى سرقت من هنا لا يقل عن العشر قطع .. »

ـ « مستحيل استردادها طبعا »

ـ « بالتأكيد .. إن بعضها سرق من عشرة أعوام .. »

هنا تدخل الرجل الأول الذى لا يحمل مصباحًا وقال :

ـ « ابن الريس (خميس) فى العشرين من عمره ، وهى سن تؤهله بالكامل لخلافة أبيه .. هذه الأسر تورث المهنة جيلاً بعد جيل .. ومعنى هذا أن الفتى يعرف أكثر مما يقول .. »

ـ « سيتكلم .. إن ضغوطًا كثيرة تتم عليه الآن .. حتمًا سيتكلم .. ليس من مصلحته قطع مصدر الرزق الوحيد للأسرة .. »

تحرك عقرب صغير على الأرض وهو يرفع مؤخرة ذيله منذرًا بالويل ، فتراجع أحد الرجلين وأشار إلى الأرض داعيًا للحذر ..

قال د. (رمزى) ـ الذى لم تهتز له شعرة ـ وهو يشير لهم كى يغادروا المقبره معه :

ـ « لنذهب قبل أن نختنق .. »

وفى الخارج كانت الشمس الحارقة تحيل الصحراء جحيمًا .. وكانت الصخور الوعرة تتوهج بألف ضوء ، على حين وقف بعض الخفراء والحراس حول المكان يرمقون الخارجين من المقبره فى شك ..

قال (رمزى) وهو يثب كاللقلق فوق الصخور ، برشاقة برغم سنه المتقدمة :

ـ « ليتنى أعرف ما فعله ذلك الأحمق (رفعت) !! »

* * *

وكان الأحمق (رفعت) ـ أنا ـ وقتها يبتاع أشياء مهمة من أحد المحال .. اشترى ربع كيلوجرام من السمسم ودس الكيس الورقى تحت إبطه ..

لم أكن متأكدًا مما إذا كان السمسم يجب أن يكون مطحونًا أم لا .. وفى النهاية قررت أنه لو كان مطحونًا لقيل ذلك بوضوح ..

كنت فى أحد أحياء القاهرة القديمة ، تلك الأحياء التى خلدها (نجيب محفوظ) فى قصصه .. وقد مشيت فى الطريق حاملاً حملى الثمين ..

الآن أرى صفًّا من عربات الحنطور و(الكارو) تقف فى صف طويل ، وسائقوها قد جلسوا على جانب الطريق ، يتسلون بتدخين (الجوزة) والسباب .. رأونى بثيابى المتأنقة نوعًا والكيس الذى أحمله ، فراحت الأصوات الخشنة تنادى والسعال يغلبها فى آخر كل نداء :

ـ « حنطور يا حاج ؟ ركوبة يا افندى ؟ »

لأننى أبدو صيدًا ثمينًا فى هذا المكان ، ومن الواضح أننى أدفع دون مناقشة ..

لكن هدفى كان محددًا وواضحًا .. توقفت فى وقار .. أخرجت من جيبى قفازًا مطاطيًّا لففت به يدى اليمنى فى وقار .. أخرجت كيسًا بلاستيكيًا فى وقار .. انحنيت فى وقار ..

ثم ـ بوقار أيضًا ـ جمعت بعض روث الخيول المتناثر على الأرض ، ووضعته فى الكيس .. ونظرت لهم نظرة متعالية ثم استدرت منصرفًا فى وقار !

طبعًا لم أسمع أى تعليق ساخر أو شيئًا مماثلاً ، لأن ما قمت به فاق قدرتهم على التخيل ، وأخرسهم لبضع دقائق ..

وحين ثابوا لرشدهم كنت قد اختفيت تماما ..

* * *

- ٤ -

فيما بعد عرفت أن (رمزى) دخل غرفة المستشفى حيث كان (تورلسون) ..

فيما عدا الشحوب الظاهر على وجهه الأحمر عادة ، يمكن القول إن هذا الرجل تحسن بما لا يقاس ..

كان شبيهًا بالعنكبوت من كثرة الأنابيب الداخلة إلى عروقه .. ويبدو أنه أمضى نهارًا تعسًا مع المحققين ، ومع مندوب السفارة الذى جاء على عجل من القاهرة ..

وقف د. (رمزى) على مسافة معينة من النرويجى ، فهو لم يكن يطيق المرضى ، ويعتقد أن أى ضرر فى العالم حتى لو كان جرحًا فى الرأس أو محاولة انتحار ، هو معد بالتأكيد يجب الابتعاد عنه ..
قال له بالإنجليزية :

- « جميل .. جميل .. أرى أنك تحسنت كثيرًا .. »

ابتسم النرويجى ابتسامة شاحبة وقال :

- « جدًّا .. لم أنم كما نمت فى هذه الفترة .. »

هذا متوقع مع كل ما ابتلعه من منومات .. إن لم ينم فمتى ينام إذن ؟ عاد (رمزى) يسأله :

- « ولا مضايقات خاصة بأشخاص مبهمين مخيفين ، يظهرون جوار فراشك فجأة ؟ »

- « لا .. لا .. يبدو أن الشىء قد تخلى عنى راضيًا بعد هذا .. لقد نال ما كان يبتغيه .. »

قال (رمزى) فى كياسة ورفق محاولاً ألا يثير أعصاب المريض أكثر من اللازم :

- « لا أدرى إن كان هذا من حقى أم لا .. لكن لا بد من السؤال .. إن الإجابة ذات أهمية بالغة بالنسبة لى ولنا عامة .. لماذا وكيف فعلتها ؟ أنا أفهم الظرف النفسى القاسى الذى كنت تمر به ، لكن

لابد من سـبب ما .. سبب ما اسـتجد وأدى لانـهيار السـد .. إننا معشر العرب نعبر عن هذا قائلين : القشـة التى قصمت ظهر البعير .. فمـا هـى قشتك الخاصـة التى جعلتك تتعجل هذا القرار ؟ »

ابتسم النرويجى فى غموض ولم يرد ..

عاد (رمزى) يلح :

ـ « هذا مهم جدًّا .. هل زارك ليلتها ؟ وماذا قـال لك أو ماذا فعل ؟ »

قال (تورلسون) بنفس الغموض :

ـ « دعنى أقل لك يا د. (حبيب) إن ما سـأقوله لم أذكره فى أى استجواب تم معى اليـوم وأمـس .. الحقيقة أننى لم أفعلها !! »

ثم نظر له مناشدًا ، وسأله :

ـ « هل معك لفافة تبغ ؟ »

ـ « لا .. ولا أطيق رائحة الدخان أصلاً .. ولكن

ماذا تعنيه بأنك لم تفعلها ؟ هل وثبت الأقراص من العلبة إلى فمك ؟ »

ـ « لا أعنى هذا بالضبط .. كنت نائمًا لا أعى ما يدور حولى ، لكنى شعرت بمن يفتح فمى ويدس فيه هذه الأقراص دسًّا .. ثم يتبعها بجرعة ماء .. بعد هذا سمعته ينصرف ويغلق الباب وراءه .. قلت لنفسى إنه يجب أن أستغيث .. أن أفعل شيئًا .. لكنى كنت أكثر وهنًا من أن أفعل ، ثم إن فكرة الانزلاق البطىء إلى عالم مظلم بارد ساكن راقت لى كثيرًا .. هل تعرف قصيدة (الغابة مظلمة باردة ....) ؟ »

ـ « (.. لكن هناك مسافات يجب أن أقطعها ومواعيد يجب أن أحفظها قبل أن أنام ..) .. أعرف أعرف « ـ قالها (رمزى) بنفاد صبر ـ » لكنك قرعت الجرس طالبًا العون فعلاً .. »

ـ « نعم .. أعتقد هذا .. لابد أن جزءًا منى ظل يتشبث بالحياة .. »

ـ « هنا نصل للسؤال المهم .. من فعلها ؟ »

ابتسم (تورلسون) فى غموض من جديد وقال :

ـ « لهذا زعمت فى كل التحقيقات أننى فعلتها فى لحظة يأس .. لم أرد أن أخبرهم بالوجه المغضن أصلع الرأس الذى كان دانيًا من وجهى ، حاملاً كوب الماء والأقراص .. رأيته بين جفونى شبه المغمضة ، ولم أستطع قط أن أفهم .. لماذا يفعلها ؟ إن من أعطانى جرعة الأقراص يا سيدى هو الدكتور (إسماعيل) .. »

★ ★ ★

مررت على المشرحة فى الوقت المحدد ، وكان (أبو اليزيد) ينقل بعض الزجاجات العملاقة على عربة يد فى الردهة ، فلما رآنى ترك ما يقوم به ..اتجه إلى غرفة صغيرة ملحقة وعاد لى بكيس بلاستيكى ملفوف بحجم قبضة اليد وداخله كان شىء ملفوفًا بدوره فى ورقة جريدة ..

قال لى همسًا :

ـ « كما طلبت يا دكتور .. »

ـ « هل أنت متأكد من أنه ؟؟؟ »

أشار إلى عنقه الغليظ ، وبدا عليه الاستنكار :

ـ « عيب ! رقبتى لك .. »

دسست بعض العملة فى جيبه بينما هو يردد أنه لا يريد مالاً وإنما يريد أن يخدم .. وحملت كنزى الثمين واتجهت إلى الخارج ..

عدت إلى البيت وجلست فى الصالة أرمق الأشياء التى أعددتها .. لا بد من أن أتصرف سريعًا قبل أن أجد الشرطة على رأسى .. هذه خطوة لا مفر منها ما دام موظفو الفندق يعرفون أننى أمضيت فى غرفة (تورلسون) تلك الليلة التى انتحر فى نهايتها .. فقط هم يبحثون عن عنوانى فى القاهرة .. إنه موجود فى بطاقتى الشخصية وقد دونوه فى الفندق .. لكن الطريف هنا أنه عنوان قديم فى (العباسية) لم أغيره فى البطاقة قط ، أو ربما رجال الشرطة لم يربطوا بينى وبين النرويجى ، وبعد ..

ونظرت لساعتى ..

مازال الليل بعيدًا .. حقًّا لا أدرى إن كان يجب حدوث هذا ليلاً ، لكن طبائع الأمور توحى لى بأن الليل هو الوقت الأفضل .. إن أمامى ثمانى ساعات تقريبًا حتى يدنو ليل الصيف .. وعلى أن أجد ما أزجى به الوقت حتى ساعتها ..

أرجو أن تكون راضيًا عنى .. أرجو ألا يثير الانتظار غضبك ..

★ ★ ★

« لكن دعنى أقل لك إن من يله بالنار يحترق بها .. وهذه الأشياء ليست للهو .. »

★ ★ ★

فى هذا الوقت ـ كما علمت فيما بعد ـ كان د. (رمزى) يمر بخبرة أخرى سيئة ، ويبدو أن كل خبراته صارت سيئة فى الآونة الأخيرة .. كان جالسًا مع رائد بالشرطة يدعى (محمود) وشاب

أسمر فى العشرين من عمره ، تبدو عليه علامات الإرهاق والذعر .. طبيعى أن تبدو مرهقًا مذعورًا بعد كل هذه الأسئلة ، طيلة هذه الفترة ، وعندما تعيد القصة ذاتها تحدث ثغرات لا مفر منها .. ..

كان اسم الفتى (حميدة) .. نحن قابلناه من قبل ، لكن قليلين عرفوا أنه ابن الريس (خميس) شخصيًّا .. إذن لماذا لم يقل هذا مباشرة لـ (تورلسون) وينتهى الأمر ؟ كما قلنا آنفًا طبيعة هؤلاء القوم هى اللف والدوران ، وكل معلومة عندهم هى سر ربما أمكن الاستفادة منه فيما بعد .. البيع لا الشراء شعارهم ..

كان (رمزى) يسأله فى إلحاح :

ـ « أما زلت مصرًّا على أنه لم تكن هناك مومياء فى المقبرة قط ؟ »

قال الفتى وهو ينظر إلى بعينيه الميتتين كعادة المجرمين المتلبسين :

ـ « أقسم لك يا دكتور إنها كانت فارغة منذ

وجدها أبى .. كانت بها بعض الآنية وتماثيل .. لكنها كانت خالية أو هكذا عرفتها منذ نعومة أظفارى .. »

ـ « وتقول إن أباك لم يأت بالذراع من أية مومياء ؟ »

ـ « هذه جريمة يا دكتور .. لا أحد يفعل هذا .. كان المرحوم نصابًا لكنه لم يكن لصًّا ! »

ـ « يا سلام ! ونبش المقابر ليس جريمة ؟؟ »

ـ « ربما .. لكنها ليست كسرقة الآثار .. »

ـ « والذراع التى أعادها لك النرويجى .. ماذا فعلت بها ؟ »

ـ « دفنتها يا دكتور تحت رمال الصحراء .. ما كنت لأتمكن من إعادتها إلى صاحبها الأصلى .. »

ثم أردف وهو يسبل عينيه فى تقوى زائفة :

ـ « كلنا جئنا من التراب وإلى التراب نعود ، والأرض كلها أرض اللَّه ، وقبرنا نحن الفانين »

هنا تدخل الرائد نافد الصبر ، وقال وهو يشعل لفافة تبغ :

ـ « كفاك تمثيلاً أيها الزنديق !! إذن أبوك كان يجىء بهذه الأشياء إلى البيت ، كلما طلب منه أحد السياح أثرًا نادرًا ، ويعالجها لتبدو عتيقة .. كيف كان يفعل ذلك ؟ »

ـ « اللَّه أعلم يا سيدى .. كان هناك ماء نار ، وبوتاس كاو .. وكان يغلى بعض الأشياء فى (طنجرة) كبيرة .. حقًّا لا أعرف .. يبدو أنه سر متوارث عن الأجداد ، بعدها كان يجففها فى الشمس ويلفها بقماش عولج بنفس الطريقة ، ليعطى انطباع القدم .. وكان السياح يصدقون .. لا أحد يسأل .. »

هز (رمزى) رأسه موافقًا ، وقال شارحًا للضابط :

ـ « هناك سوابق كثيرة من هذا النوع .. وقد حدثت مرارًا حوادث تلفيق مماثلة فى العالم الغربى لمومياوات تعود إلى عصر الجليد ، أو طيور ووحوش لم توجد قط .. كانت هذه أيامًا سعيدة قبل أن يتعلم العلم تحديد عمر العينات بالكربون وما إلى ذلك .. »

أشـار الضـابط إلـى شـرطى كـى يـأخذ الفتـى إلـى الحجز والتفت إلى الدكتور (رمزى) متسائلاً :

- « ما معنى هذا كله إذن ؟ »

قال (رمزى) :

- « معناه أن النرويجى يخرف .. لم يفعل ما يثـير غضب المومياوات عليه ، فلا أساس لشكواه .. هـذا طبعًا لو فرضنا أن المومياوات تطارد من يسرقون أجزاءها .. »

- « وماذا عن الذراع التـى تعود فـى كـل مـرة ؟ ولماذا سرقها صديقك هذا ؟ »

- « هذه هى النقطة الوحيدة المريبة فى الموضوع .. يبدو أن على أن .... »

ثم امتقع وجهه ونظر إلى التقويم على المكتب ..

- « خطرت لى فكرة رهيبة .. رباه ! كم اليـوم ؟ أيام الشعرى !! عسى ألا نكون تأخرنا ! »

قال الضابط فى ضيق :

ـ « سأكون لك شاكرًا لو لم تتركنى بلا فهم كأطرش فى الزفة »

ـ « سأشرح لك فيما بعد .. هذا مجرد هاجس .. »

ونهض (رمزى) وقد قرر أن يعود إلى القاهرة فى أقرب وقت ممكن .. أين سيكون (رفعت) ؟ بالطبع عاد إلى القاهرة لأنه ليس له مكان آخر .. عليه أن يتصل به أولاً ثم ....

★ ★ ★

ترررررن !

دوى الصوت المزعج ليمزق أعصابى كما تمزق أنت نسيج عنكبوت بعصا مكنسة .. كنت فى مكتبى وقد أعددت كل شىء .. إنها مهمة كريهة ، لكن لابد من أن يقوم بها أحد .. كل شىء معد .. الذراع .. السمسم .. الدهن .. الروث .. لم يبق إلا أن .... ثم

يقاطعنى هذا الطفيلى .. هل أتجاهله ؟ شىء يقول لى إن علىّ الرد على هذه المكالمة ، وهى قادمة من خارج القاهرة .. فى الغالب هى مهمة إذن ..

- « من ؟ »

جاء صوت (رمزى) القلق المتوتر ، وكنت أتوقع أن أسمعه على كل حال :

- « (رفعت) .. هذا أنا .. (رمزى) .. ماذا تفعل الآن ؟ »

شعرت بضيق بالغ .. أنا أكره هذا التدخل فى أمورى :

- « ثق أننى لا أشوى طفلاً رضيعًا للعشاء لو كان هذا يقلقك .. »

- « حدسى يقول لى إن هناك ما هو أخطر .. (رفعت) .. أنت أعطيتنى موعدًا للخلاص من الذراع ، ثم لم تأت .. اختفيت .. وكل شىء يقول إن الذراع معك .. (تورلسون) يؤكد أنك أنت من حاول



جاء صوت (رمزى) القلق المتوتر ، وكنت أتوقع أن أسمعه على كل حال :

- « (رفعت) .. هذا أنا .. (رمزى) .. ماذا تفعل الآن ؟ » ..

قتله بالأقراص المنومة .. هل تعرف ما معنى هذا ؟ معناه أنك ممسوس يا (رفعت) .. ثمة شىء ـ يعلم اللَّه ما هو ـ يحاول السيطرة عليك .. بل هو سيطر عليك فعلاً ويحاول استغلالك لتنفيذ ما يريد .. »

صحت فى اشمئزاز شاعرًا بأننى لا أطيق كل هذا السخف .. هذا ـ ببساطة ـ محض هراء :

ـ « أنا لا أطيق كل هذا السخف .. هذا ـ ببساطة ـ محض هراء .. سأضع السماعة الآن .. »

ـ « لا !! »

وعاد يقول بلهجة متسارعة كى يسمعنى أكبر قدر من الكلام قبل أن أضع السماعة :

ـ « لقد قرأت كثيرًا عن يد المجد قبل أن أجىء إلى الأقصر .. هل تعرف ما وجدته ؟ إذا لم تكتمل الوصفة حسب الكتب فإن شبح الجثة صاحبة اليد يطارد صانع التعويذة .. يطارده إلى أن يتمها بالشكل الصحيح .. (تورلسون) لم يؤد الوصفة جيدًا لأنه

لم يجد دهنًا آدميًّا لشخص مشنوق يصنع به شمعته .. كان من المستحيل عليه أن يجده .. ولهذا لم تنجح الحيلة مع كل من جربها معه ، ولهذا طارده الشيء وجعل حياته نحسًا .. فى كل مرة كانت الذراع تعود إليه ، ولم يكن المطلوب إفزاعه بل أن يستكمل ما بدأه .. وحين وجد الشيء ألا جدوى منه لأنه لم يفهم ، قرر أن يغير هدفه .. أن يطارد الشخص الذى يمكنه أن يصل إلى جثة مشنوق .. وهذا الشخص طبيب .. بالطبع طبيب .. (رفعت) .. ماذا حدث فى الليلة التى سهرت فيها جوار (تورلسون) ؟ »

كان الصداع يمزق رأسى ، لكننى تمالكت وهمست :

ـ « كانت لعنة الفراعنة .. لا دخل ليد المجد هذه بالأمر .. »

ـ « كلنا حسبنا هذا .. لكن لا دخل لـ (ددى) فى هذا .. اليد لم تؤخذ من مومياء فرعونية .. اليد أخذت من جثة عادية بريئة إن كان هناك شىء كهذا »

- « سأضع السماعة الآن .. »

- « (رفعت) !! أنت لاتدرى ماتقوم به .. إن هذا عمل من أعمال السحر الأسود ، وكل الدلائل تشير إلى أثره المدمر على العقل البشرى .. أعرف أنك مُصيّر .. أعرف أنك لاتدرى بحق ماتفعله .. اللعنة جعلتك تحاول قتل (تورلسون) لأنه لانفع منه ، ولعلك حصلت الآن على دهن المشنوق وروث الخيل .. اللهً (تعالى) وحده يعرف كيف فعلت هذا .. لكنك ستفتح أبواب الجحيم على نفسك لو فعلت .. »

هنا وضعت السماعة ، لأننى لم أعد أطيق الثرثرة ..

* * *

خاتمة

بعد ساعة استجمعت فيها شتات أفكارى ، جلست إلى مكتبى وارتديت القفازين المطاطيين ، وبدأت الخطوات الأولى من العملية ..

هنا سمعت دقات عنيفة .. دقات عنيفة جدًّا على الباب ..

ازداد السخط بى ، ونهضت كى أفتح الباب وأزجر القادم فى شراسة ..

لكنى لم أفعل ..

كان هناك عدد لا بأس به من النسور والنجوم والأشرطة على الباب ، وقال كبيرهم بلهجة لا تخلو من التهذيب وإن كانت حازمة :

ـ « د. (رفعت إسماعيل) ؟ »

قلت بصوت مبحوح :

ـ « أنا هو .. خيرًا ؟ »

- « أرجو أن ترتدى ثيابك .. نحن نريدك فى القسم بعض الوقت .. »

- « لـ .. لماذا ؟ »

ابتسم ونظر لمن حوله ثم قال :

- « لا أدرى .. لكن هناك مكالمة جاءتنا من العميد (عصمت) ، يطلب منا أن نحتجزك حتى إشعار آخر منه .. أعتقد أن الأمر لن يطول وهو على الأرجح سوء تفاهم .. »

نظرت حولى متخاذلاً .. لقد لعبها (رمزى) ببراعة .. ولا ألومه على هذا .. الحقيقة أننى كنت فى حاجة إلى من ينقذنى من نفسى .. وقد فعلها ..

- « بعد أن تغلق بابك ، هل تسمح لنا بالمفتاح ؟ هذه تعليماتى .. »

- « ليكن يا سيدى .. »

ودون كلمة أخرى أغلقت باب شقتى ولحقت بهم ..

★ ★ ★

جاء (رمزى) فى اليوم التالى ، وكنت قد قضيت ليلة ليست سيئة جدًّا فى غرفة المأمور .. كان يتوقع لومًا ـ (رمزى) لا المأمور ـ لكننى لم أقل له شيئًا على الإطلاق .. طبعًا جاء ومعه مكالمة تسمح بإطلاق سراحى دون قيد أو شرط ..

قال لى ونحن نتجه إلى الخارج :

ـ « لاتشغل بالك بالمشكلة الآن .. لقد عرجنا على بيتك وأخذنا كل ما يتعلق بالموضوع .. وقد تخلصنا منه .. »

ـ « كيف ؟ »

ـ « بالطريقة التى أثبتت نجاحها منذ قديم .. النار .. كما فعلنا مع مخلفات ذلك الفرعون يومًا ما .. لقد دمرت كل شىء ولو عاد هذا الأخ مبتور الذراع يطاردك ، لبدا لى كل هذا غريبًا .. »

وابتسم وهو يفتح لى باب سيارته وأضاف :

- « عسى أن تكون النار ناجحة ، وألا نضطر إلى استعمال مرارة القط الأسود ودم البومة كما تقول الكتب ! »

- « ستكون مشكلة حقيقية .. أنا لا أعرف إلا طريقة الحصول على دهن المشنوقين !! »

- « ستتعلم ! كل شيء يمكن تعلمه ! »

وأدار محرك السيارة ، وابتعدنا ..

★ ★ ★

كما قلنا من قبل هناك مومياوات ومومياوات ..

ليست كل المومياوات لطيفة المعشر أو محببة للنفس .. لو اعتقدت هذا فأنت بلا شك فى مشكلة ..

وليست كل المومياوات شريرة تخرج ليلاً للبحث عنك .. ثمة استثناءات دائمًا ..

قصتنا هذه نموذج جيد بلا شك للمومياوات التى لا تفعل شيئًا ، ونموذج للتفكير الخاطئ الذى يتجه

حيث يراد له أن يكون .. وحتى أنا ـ طارد الأشباح المخضرم ـ خدعنى عنوان هذه القصة ، وحسبت أنه مادامت هذه أسطورة المومياء ، فمن الطبيعى أن يكون فيها مومياء أو اثنتان .. ولو أنصفنا لأطلقنا عليها أسطورة يد المجد ، أو أى اسم آخر لايعطى إشارة موحية ..

كانت هذه أسطورة المومياء ..

هل يحق لى أن أستريح ، أم أن العشيرة تزأر معلنة دنو خطرها الداهم ؟

كانوا مجموعة من العمال .. وكانت هناك تلك الحياة القاسية التى .....

ولكن هذه قصة أخرى ..

★ ★ ★

د. (رفعت إسماعيل)

القاهرة

تمت بحمد الله

روايات مصرية للجيب

ما وراء الطبيعة

روايات تحبس الأنفاس من فرط الغموض والرعب والإثارة

● صدر من هذه السلسلة ●

1 - أسطورة مصاص الدماء .
2 - أسطورة النداهة .
3 - أسطورة وحش البحيرة .
4 - أسطورة آكل البشر .
5 - أسطورة الموتى الأحياء .
6 - أسطورة رأس ميدوسا .
7 - أسطورة حارس الكهف .
8 - أسطورة أرض أخرى .
9 - أسطورة لعنة الفرعون .
10 - أسطورة حلقة الرعب .
11 - أسطورة الكاهن الأخير .
12 - أسطورة البيت .
13 - أسطورة اللهب الأزرق .
14 - أسطورة رجل الثلوج .
15 - أسطورة النبات .
16 - أسطورة الناقاراى .
17 - أسطورة حسناء المقبرة .
18 - أسطورة الغرباء .
19 - أسطورة بو .
20 - حكايات التاروت .
21 - أسطورة عدو الشمس .
22 - أسطورة المينوتور .
23 - أسطورة رعب المستنقعات .
24 - أسطورة إيجور .
25 - أسطورة الجنرال العائد .
26 - أسطورة المواجهه .
27 - أسطورتنا .
28 - أسطورة آخر الليل .
29 - أسطورة الجاثوم .
30 - أسطورة بعد منتصف الليل .
31 - أسطورتها .
32 - أسطورة رفعت .
33 - أسطورة أرض المغول .
34 - أسطورة الشاحبين .
35 - أسطورة دماء دراكيولا .
36 - أسطورة الفصيلة السادسة .
37 - أسطورة الدُمية .
38 - أسطورة النصف الآخر .
39 - أسطورة التوءمين .
40 - وراء الباب المغلق .
41 - أسطورة فرانكنشتاين .
42 - أسطورة الكلمات السبع .
43 - أسطورة تختلـف .
44 - أسطورة رجل بكين .
45 - أسطورة بيت الأفاعى .
46 - أسطورة طفل آخر .
47 - أسطورة المنزل رقم (5) .
48 - أسطورة المومياء .

فانتازيا

مغامرات ممتعة فى أرض الخيال

1 - قصة لا تنتهى .
2 - حكايات من والاشيا .
3 - صفر ... صفر ... سبعة .
4 - إمبراطورية النجوم .
5 - ذات مرة فى الغرب .
6 - خيول ورماح .
7 - ألعاب إغريقية .
8 - مملكة الموتى .
9 - الخناقون .
10 - الاسم شكسبير .
11 - نداء الادغال .
12 - بين عالمين .
13 - رجل من كريبتون .
14 - من بعد سوبرمان .
15 - عدام فى البرج .
16 - شبح وشيطان .
17 - اقتلوا بطوط .
18 - توم ومن معه !
19 - خمسة منهم !
20 - من فعلها ؟!
21 - لا تدخلوا شيرود .
22 - قلعة السفاحين .
23 - أرض .. قمر .. أرض .
24 - فليدخل التنين .
25 - من أجل طروادة .

روايات عالمية للجيب

● صدر من هذه السلسلة ●

رجل المستحيل

صدر من هذه السلسلة :

1 - الاختفاء الغامض .
2 - سباق الموت .
3 - قناع الخطر .
4 - صائد الجواسيس .
5 - الجليد الدامي .
6 - قتال الذئاب .
7 - بريق الماس .
8 - غريم الشيطان .
9 - أنياب الثعبان .
10 - المال الملعون .
11 - المؤامرة الخفية .
12 - حلفاء الشر .
13 - أرض الأهوال .
14 - عملية مونت كارلو .
15 - إمبراطورية السم .
16 - الخدعة الأخيرة .
17 - انتقام العقرب .
18 - قاهر العمالقة جـ١ .
19 - أبواب الجحيم جـ٢ .
20 - ثعلب الثلوج .
21 - مضيق النيران .
22 - أصابع الدمار .
23 - فارس اللؤلؤ .
24 - الضباب القاتل .
25 - الخنجر الفضي .
26 - آخر الجبابرة .
27 - الجوهرة السوداء .
28 - قلب العاصفة .
29 - الصراع الشيطاني .
30 - الرمال المحرقة .
31 - الخطوة الأولى .
32 - خيط اللهب .
33 - القوة (أ) .
34 - مارد الغضب .
35 - قراصنة الجو .
36 - ذئب الأحراش .
37 - مخلب الشيطان .
38 - لعبة المحترفين .
39 - أعماق الخطر .
40 - مهنتي القتل .
41 - الانتحاريون .
42 - الهدف القاتل .
43 - المخاطر .
44 - العين الثالثة .
45 - القضبان الجليدية .
46 - لهيب الثلج .
47 - الرصاصة الذهبية .
48 - شيطان المافيا .
49 - الضربة القاضية .
50 - مهمة خاصة .
51 - سم الكوبرا .
52 - جبال الموت .
53 - ذئاب ودماء .
54 - رحلة الهلاك .
55 - أفعى برشلونة .
56 - الفهد الأبيض .
57 - عملية الأدغال .
58 - أعدام بطل .
59 - انتقام شبح .
60 - دونا كارولينا .
61 - ملائكة الجحيم .
62 - ملك العصابات .
63 - الجاسوس .
64 - تحت الصفر .
65 - الجليد ش .
66 - ألف وجه .
67 - الجحيم المزدوج .
68 - قلعة الصقور .
69 - أجنحة الانتقام .
70 - أباطرة الشر .
71 - ضد القانون .
72 - شريعة الغاب .
73 - المعتقل الرهيب .
74 - الدائرة الجهنمية .
75 - أسوار الجحيم .
76 - النهر الأسود .
77 - عمالقة مارسيليا .
78 - صحراء الدم جـ١ .
79 - صفقة الموت جـ٢ .
80 - وكر الإرهاب جـ٣ .
81 - الرجل الآخر جـ١ .
82 - الأخطبوط .
83 - معركة القمة .
84 - جزيرة الجحيم .
85 - لمسة الشر .
86 - الثعلب .
87 - خط المواجهة .
88 - سفير الخطر .
89 - قبضة السفاح .
90 - الهدف .
91 - الوجه الخفي .
92 - الخطر .
93 - أرض العدو .
94 - كتيبة الدمار .
95 - الصراع الوحشي .
96 - المعركة الفاصلة .
97 - الصقر الأعمى .
98 - القناص .
99 - مذاق الدم .
100 - الضربة القاصمة .
101 - انقلاب .
102 - نهر الدم .
103 - المحترف .
104 - الإعصار الأحمر .
105 - عقارب الساعة .
106 - الأفعى .
107 - اتحاد القتلة .
108 - الفخ .
109 - قبضة الشر .
110 - اغتيال .
111 - معبد الجريمة .
112 - الفريق الأسود .
113 - رياح الخطر .
114 - ممر الجحيم .
115 - بلا رحمة .
116 - مهرجان الموت .
117 - عمالقة الجبال .
118 - الأربعة الكبار .
119 - فوق القمة .
120 - السنيورا .
121 - وجه الأفعى .
122 - الأصابع الذهبية .
123 - المستحيل .
124 - اللمسة الأخيرة .
125 - عملية النيل .
126 - ساعة الصفر .
127 - نقطة الضعف .
128 - الصحوة .
129 - القراصنة .
130 - محيط الدم .
131 - الحدود .
132 - الرمال الحية .
133 - فريق المستحيل
134 - الأبطال .
135 - الأستاذ .

سافارى

صدر من هذه السلسلة :

1 ـ الوباء .
2 ـ خاطفوا الأجساد .
3 ـ الحريق .
4 ـ رقصة الموت .
5 ـ تجربة محرمة .
6 ـ أشياء تحدث ليلاً .
7 ـ الآن تراه .
8 ـ الكابوس .
9 ـ الفصيلة .
10ـ العاشر .
11 ـ يوم ثارت الوحوش .
12 ـ أرض الجنون .
13 ـ تسى تسى ! .
14 ـ إنهم يعودون أحيانًا .
15 ـ الرجل الذى لم يكن .
16 ـ ؟؟؟ .
17 ـ دواء يقتل .

رقم الإيداع : ٢٠٠١/٧٩٦٥
١ ـ ٦٠٨ ـ ٢٦٦ ـ ٩٧٧